الإشفاق ببيان:

مَصَار العُشَّاق!

تأليف

أبي عمرو عبدالكريم بن أحمد الحجوري العمري

تقديم فضيلة الشيخ/

يحيى بن علي الحجوري

مقدمة فضيلة الشيخ العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أما بعد:

فرسالة الإشفاق ببيان مصارع العشاق، لأخينا الشيخ الفاضل أبي عمرو عبد الكريم الحجوري: رسالة نافعة، جميلة، مفيدة في بابها؛ كما هو شأنه في رسائله وبحوثه؛ حيث يعتني فيها بالأدلة، والنقول الموثقة، وإبراز وجهة نظره المتحررة من ربقة التقليد.

فجزاه الله خيرًا.

كتبه : أبو عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

في شهر صفر١٤٢٨هـ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فعَن الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنْ الْحَجَّاجِ فَقَالَ:« اصْبِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ» سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

رواه البخاري برقم (٧٠٦٨).

فلا يأتي عام إلا والشر في ازدياد شديد، والحق في غربة أكثر، والمتمسكون الخُلَّص في المجتمع كالتبر الأحمر.

وقد ماجت الفتن وتلاطمت كموج البحر، لا سيما بعد موت عمر رضي الله عنه.

عَنْ شَقِيقٍ قَالَ سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَنَا كَمَا قَالَهُ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ**».

قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ، وَلَكِنْ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ قَالَ يُكْسَرُ .قَالَ: إِذًا لَا يُغْلَقَ أَبَدًا.

قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ.

فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: الْبَابُ عُمَر.

رواه البخاري برقم (٥٢٥) ومسلم برقم(١٤٤).

ومن الفتن المدلهمة التي خافها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أمته، فتنة النساء، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« **مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ** ».

رواه البخاري برقم (٥٠٩٦)ومسلم برقم(٢٧٤٠)، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« **إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**». رواه مسلم برقم (٢٧٤٢).

فكم ضاع وماع من الشباب بسبب فتنة النساء، وكم جُن وانحرف بعض الشباب بسبب فتنة النساء، ومنهم من ارتد فتنة النساء عياذًا بالله .

كل ذلك بسبب مطاردة شهواتهم لهم، واتباع النفس هواها، والهوى (الهوين)!

قال البيحاني رحمه الله في «إصلاح المجتمع» (ص٢٤٣):

وقد يكون عبداً صالحاً، ورجلاً تقياً أتبع نفسه هواها، وملأ عينيه بمناها، فذل بعد العز، وفسق بعد العفة، ونقص بعد الكمال، ونسي قول رسول الله ﷺ: «**كُتِبَ على ابنِ آدمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزنا، مُدْرِكٌ ذلكَ لا محالةَ، فالعينان زناهما النظرُ، والأذنان زناهما الاستماعُ، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْلُ زناها الخُطَا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه**».[(١)]

ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ورب إنسان مد له الشيطان حبال الفتنة، وصرف وجهه تلقاء امرأة أجنبية، والنساء حبائل الشيطان، فنسي الدين والتقوى، وأصبح ينشد فيه الواعظ قول مسكين الدارمي:

---

(١) رواه البخاري برقم (٦٦١٢)، ومسلم برقم (٢٦٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قـــل للمليحـــة في الخـــمار الأســـود

مـــــاذا فعلـــــت بناســـــك متعبـــــد

قـــد كـــان شـــمر للصـــلاة ثيابـــه

حتـــى عرضـــت لـــه ببـــاب المســـجد

ردي عليـــــه صـــــلاته وصـــــيامه

لا تفتنيـــــه بحـــــق ديـــــن محمـــــد

اهـ كلام البيحاني. وكما قال الآخر:

نظـــــرة فابتســـــامة فســـــلام

فكـــــــلام فموعـــــــد فلقـــــــاء

فعند ذلك يقع الحب الكاذب، والود المزيف، وتتوق النفوس للقاء بعض، ويحصل التواعد عن طريق الجرارات والجرارين، ولقي شيطان إنسي شيطانة إنسية، وماذا نتوقع من هذا اللقاء الفاجر الغادر، والخائن إلا ذبح الفضيلة، ونشر الرذيلة، ونزع الحياء، وهتك الأعراض، وخلع جلباب العفة، فتقع الفاحشة، وتذهب الكرامة والعزة، ويقع الذل والهوان والمعصية.

ولما رأيت الواقعين في **مستنقع** الرذيلة، وَهوَّةِ الفاحشة؛ بسبب **العشـق** المقيت؛ رأيت أن أكتب نصيحة للمسلمين [1] للواقع المرير؛ الذي يعيشه طائفة من المجتمع، كحياة البهائم :﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[الفرقان:

---

[1] لا سيما وقد كنت كتبت كتابًا بعنوان: « تحذير أولياء الأمور من خطر الغالاة في المهور» نصحت فيه أولياء الأمور بتخفيف المهمور، وحذرتهم من مَغَبَّةِ التمادي في غلاء المهر؛ بما تراه في طيات الكتاب.

٤٤]، فربما رأى المخدوع امرأة وهي في شأنها فظنها تشير إليه، فإذا شاع غرامه بها؛ وقعت هي الأخرى في شباكه فعشقته، فيا ويله منهاو ويا ويحها منه.

فجمعت الذي تراه، وكثير منه نقلاً عن ابن القيم[1] أوغيره ، عسى أن يكون زجرًا للتائه، وتنبيهًا للغافل، والله من وراء القصد.

قال ابن الجوزي رحمه الله في صيد الخاطر ص٢٦٨ـ٢٦٩ـــ:

فصل خداع الشهوات

أكثر شهوات الحس النساء، وقد يرى الإنسان امرأة في ثيابها فيتخايل له أنها أحسن من زوجته.

أو يتصور بفكره المستحسنات وفكره لا ينظر إلا إلى الحسن من المرأة، فيسعى في التزوج والتسري.

فإذا حصل له مراده لم يزل ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان يتفكر فيها فيمل ويطلب شيئاً آخر.

ولا يدري أن حصول أغراضه في الظاهر ربما اشتمل على محن منها أن تكون الثانية لا دين لها أو لا عقل أو لا محبة لها أو لا تدبير فيفوت أكثر مما حصل.

وهذا المعنى هو الذي أوقع الزناة في الفواحش، لأنهم يجالسون المرأة حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها، فتلذ لهم تلك الساعة، ثم ينتقلون إلى

---

[1] لا سيما في كتابيه «روضة المبين » و«الداء والدواء»، وقد نقلت عن غيرهما، لكن نقلت عن هذين الكتابين أكثر.

أخرى.

فليعلم العاقل أن لا سبيل إلى حصول مراد تام كما يريد: ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾[البقرة: ٢٦٧]، وما عيب نساء الدنيا بأحسن من قوله عز وجل: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[البقرة: ٢٥].

وذو الأنفة يأنف من الوسخ صورة، وعيب الخلق معنى.

فليقنع بما باطنه الدين، وظاهره الستر والقناعة. فإنه يعيش مرفه السر، طيب القلب. ومتى ما استكثر، فإنما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه.اهـ .

كتبه :

أبو عمرو عبد الكريم بن أحمد

ابن حسين الحجوري العمري

بمكتبة دار الحديث بدماج حرسها الله.

١٠/ رجب/ ١٤٢٧.

تعريف العشق

العِشْقُ: فرط الحب، وقيل: هو عُجْب المحب بالمحبوب يكون في عَفافِ الحُبّ، ودَعارته؛ عَشِقَه يَعْشَقُه عِشْقاً و عَشَقاً و تَعَشَّقَهُ، وقيل: التَّعَشُّقُ تكلّف العِشْقِ، وقيل: العِشْقُ الاسم و العَشَقُ المصدر؛ قال رؤبة:

ولم يُضِعْها بينَ فِرْكٍ وعَشَق.

ورجل عاشِقٌ من قوم عُشَّاقٍ، و عِشِّيقٌ مثالُ فِسِّيقٍ: كثير العِشقِ . وامرأَة عاشِقٌ، بغير هاء، و عاشِقةٌ.

و العَشَقُ والعَسَقُ، بالشين والسين المهملة: اللزوم للشيء لا يفارقه، ولذلك قيل للكَلِفِ عاشِق للزومه هواه. والمَعْشَقُ: العِشْقُ؛ قال الأَعشى:

وما بيَ مِنْ سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَق

وسئل أَبو العباس أَحمد بن يحيى عن الحُبِّ و العِشْقِ: أَيّهما أَحمد؟ فقال: الحُب لأَن العِشْقَ فيه إِفراط، وسمي العاشِقُ عاشقاً لأَنه يَذْبُلُ من شدة الهوى كما تَذْبُل العَشَقَةُ إِذا قطعت، والعَشَقَةُ: شجرة تَخْضَرُّ ثم تَدِقُّ وتَصْفَرُّاهـ من لسان العرب لابن منظور(٩/ ٢٢٤).

قال أبو الهلال العسكري في الفروق اللغوية صـ١٤٠ـ:

(والعشق أيضا هو الشهوة التي إذا أفرطت وامتنع نيل ما يتعلق بها، قتلت صاحبها، ولا يقتل من الشهوات غيرها؛ ألا ترى أن أحدًا لم يمت من

شهوة الخمر، والطعام، والطيب، ولا من محبة داره، أو ماله، ومات خلق كثير من شهوة الخلوة مع المعشوق والنيل منه) اهـ.

وقال ابن القيم في روضة المحبين صـ١٢١ـ:

(فالذي عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل.

وسببه النفساني: الاستحسان، والفكر.

وسببه البدني: ارتفاع بخار رديء إلى الدماغ عن مني محتقن، ولذلك أكثر ما يعتري العزاب، وكثرة الجماع تزيله بسرعة)اهـ.

أسماء العشق

أسماء العشق كثيرة منها:

قال ابن القيم روضة المحبين صـ٢٢ـ:

(وضعوا له قريبًا من ستين اسمًا، وهي المحبة، والعلاقة، والهوى، والصبوة، والصبابة، والشغف، والمقة، والوجد، والكلف، والتتيم، والعشق، والجوى، والدنف، والشجو، والشوق، والخلابة، والبلابل، والتباريح، والسدم، والغمرات، والوهل، والشجن، واللاعج، والاكتئاب، والوصب، والحزن، والكمد، واللذع، والحرق، والسهد، والأرق، واللهف، والحنين، والاستكانة، والتبالة، واللوعة، والفتون، والجنون، واللمم، والخبل، والرسيس، والداء المخامر، والود، والخلة، والخلم، والغرام، والهيام، والتدلية، والوله، والتعبد.

وقد ذكر له أسماء غير هذه وليست من أسمائه وإنما هي من موجباته وأحكامه فتركنا ذكرها)اهـ.

وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية صـ١٦٥ـ:

(والمحبة مراتب :

أولها العلاقة: وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية الارادة: وهي ميل القلب الى محبوبه وطلبه له.

الثالثة الصبابة: وهي انصباب القلب اليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحدور .

الرابعة الغرام: وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه إن عذابها كان غراما.

الخامسة المودة والود: وهي صفو المحبة، وخالصها ولبها قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾[مريم:٩٦] .

السادسة الشغف:وهي وصول المحبة الى شغاف القلب.

السابعة العشق: وهو الحب المفرط لذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم واختلف في سبب المنع فقيل عدم التوقيف وقيل غير ذلك ولعل امتناع اطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

الثامنة التيم: وهو بمعنى التعبد .

التاسعة :التعبد .

العاشرة الخلة: وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبة وقيل في ترتيبها غير ذلك وهذا الترتيب تقريب حسن لا يعرف حسنةالا بالتأمل في معانيه)اهـ. وبعض هذه الأسماء بينها بعض التباين في بعض الأمور وتتفق في البعض الآخر.

وجوب غض البصر عن الحرام وتحريم النظر إليه

قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ:﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ* وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[النور:٣٠-٣١]، وفي صحيح البخاري بر قم(٦٢٤٣) ومسلم برقم(٦٢٥٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :«إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ».

وفي صحيح مسلم برقم(٢١٥٩) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ؛ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي. وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ رَأَى امْرَأَةً فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً لَهَا فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ:« إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً؛ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ ». رواه مسلم برقم (١٤٠٣).

وحرم الله النظر إلى النساء الأجنبيات لما في ذلك من الفتنة بهن ، ولهن، ففي صحيح البخاري برقم (٥٠٦٩) ومسلم برقم (٢٧٤٠) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ».

وما جعل الله الاستئذان إلا من أجل البصر:

روى البخاري برقم (٦٢٤١) ومسلم(٢١٥٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ:« لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ».

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا اطَّلَعَ مِنْ بَعْضِ حُجَرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِمِشْقَصٍ أَوْ بِمَشَاقِصَ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخْتِلُ الرَّجُلَ لِيَطْعُنَهُ.

رواه البخاري برقم(٦٢٤٢) ومسلم برقم(٢١٥٧).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصَاةٍ؛ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ».

رواه البخاري برقم(٦٩٠٢) ومسلم برقم(٢١٥٨).

قال ابن القيم في روضة المحبين صـ٨٧ـ٩٤ـ:

وفي غض البصر عدة فوائد:

أحدها: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته

فأضر شيء على القلب إرسال البصر، فإنه يريه ما يشتد طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه وذلك غاية ألمه وعذابه. قال الأصمعي:

رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها ، فقالت لي يا هذا ما شأنك؟ قلت: وما عليك من النظر؟ فأنشأت تقول:

وكنت متى أرسلت طرفك رائدًا لقلبك يومًا أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس فإن لم يحرقه كله أحرقت بعضه، كما قيل:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهام غرضها قلبه وهو لا يشعر، فهو إنما يرمي قلبه ولي من أبيات:

يا راميًا بسهام اللحظ مجتهدًا أنت القتيل بما ترمي فلا تصب

وباعث الطرف يرتاد الشفاء له توقه إنه يأتيك بالعطب

وقال الفرزدق :

تزود منها نظرة لم تدع له فؤادًا ولم يشعر بها قد تزودا

فلم أر مقتولًا ولم أر قاتلًا بغير سلاح مثلها حين أقصدا

وقال آخر:

ومن كان يؤتى من عدو وحاسد فإني من عيني أتيت ومن قلبي

هما اعتوراني نظرة ثم فكرة فما أبقيا لي كل من رقاد ولا لب

وقال آخر :

رماني بها طرفي فلم تخط مقلتي وما كل من يرمى تصاب مقاتله

إذا مت فابكوني قتيلا لطرفه قتيل صديق حاضر ما يزايله

وقال ابن المعتز :

متيم يرعى نجوم الدجى يبكي عليه رحمة عاذله

عيني أشاطت بدمى في الهوى فابكوا قتيلًا بعضه قاتله

ومثله للمتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه فمن المطالب والقتيل القاتل

وقال أيضًا:

يا نظرة نفت لرقاد وغادرت في حد قلبي ما بقيت فلولا

كانت من الكحلاء سؤلي وإنما أجلي تمثل في فؤادي سولا

وقال أيضًا: وقي الأمير من العيون فإنه مالا يزول ببأسه وسخائه

يستأسر البطل الكمي بنظرة ويحول بين فؤاده وعزائه

وقال الصوري :

إذا أنت لم ترع البروق اللوامحا ونمت جرى من تحتك السيل سائحا

غرست الهوى باللحظ ثم احتقرته وأهملته مستأنسا متسامحا

ولم تدر حتى أينعت شجراته وهبت رياح الوجد فيه لواقحا

فأمسيت تستدعي من الصبر عازبًا عليك وتستدني من النوم نازحا

ودخل أصبهان مغن فكان يتغنى بهذين البيتين:

سماعًا يا عباد الله مني وكفوا عن ملاحظة الملاح

فإن الحب آخره المنايا وأوله شبيه بالمزاح

وقال آخر:

وشادن لما بدا أسلمني إلى الردى

بظرفه ولطفه وطرفه لما بدا

أردت أن أصيده فصاد قلبي وعدا

وقال آخر يعاتب عينه :

والله يا بصري الجاني على جسدي لأطفئن بدمعي لوعة الحزن

تالله تطمع أن أبكي هوى وضنى وأنت تشبع من غمض ومن وسن

هيهات حتى ترى طرفًا بلا نظر كما أرى في الهوى شخصا بلا بدن

وقال آخر :

يا من يرى سقمي يزيد وعلتي أعيت طبيبي
لا تعجبن فهكذا تجني العيون على القلوب

وقال آخر:

لواحظنا تجني ولا علم عندنا وأنفسنا مأخوذة بالجرائر
ولم أرى أغبى من نفوس عفائف تصدق أخهار العيون الفواجر
ومن كانت الأجفان حجاب قلبه أذن على أحشائه بالفواقر

وقال آخر :

ومستفتح باب البلاء بنظرة تزود منها قلبه حسرة الدهر
فوالله ما تدري أيدري بما جنت على قلبه أم أهلكته وما يدري

وقال آخر :

أنا ما بين عدوين هما قلبي وطرفي ينظر الطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي

وقال الخفاجي :

رمت عينها عيني وراحت سليمة فمن حاكم بين الكحيلة والعبرى
فيا طرف قد حذرتك النظرة التي خلست فما راقبت نهيا ولا زجرا
ويا قلب قد أرداك طرفي مرة فويحك لم طاوعته مرة أخرى

ولي من أبيات لعل معناها مبتكر:

ألم أقل لك لا تسرق ملاحظة فسارق اللحظ لا ينجو من الدرك
نصبت طرفي له لما بدا شركًا فكان قلبي أولى منه بالشرك

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين، وفي الوجه، وفي الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه، وجوارحه، ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى الله:﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، عقيب قوله:﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾[النور: ٣٠]، وجاء الحديث مطابقًا لهذا حتى كأنه مشتق منه، وهو قوله:« **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه نورًا...**» الحديث [(١)] .

الفائدة الثالثة: أنه يورث صحة الفراسة، فإنها من النور وثمراته وإذا استنار القلب صحت الفراسة لأنه يصير بمنزلةالمرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفس فيها فإذا أطلق العبد نظرة تنفست نفسه الصعداء في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مرآة قلبك لا تريك صلاحه والنفس فيها دائما تتنفس

وقال شجاع الكرماني: من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطىء فراسته.

---

(١) الحديث ضعيف، في سنده عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي ضعيف جدًا، وعليه مدار الحديث، وتارة يرويه عن ابن مسعود كما عند الطبراني في الكبير(١٠/ ١٧٣ برقم١٠٣٦٢)، وتارة يرويه عن حذيفة كما في المستدرك (٤/ ٤٥٦) طبعة شيخنا مقبل رحمه الله.

وكان شجاع لا تخطىء له فراسة، والله سبحانه وتعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه؛ فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض، ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه وأظلم وانسد عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب، وثباته، وشجاعته؛ فيجعل له سلطان البصير مع سلطان الحجة، وفي الأثر: إن الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله، ولهذا يوجد في المتبع لهواه من ذل القلب، وضعفه، ومهانة النفس وحقارتها، ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه .

قال الحسن: إنهم وإن هملجت بهم البغال؛ طقطقت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه .

وقال بعض الشيوخ الناس: يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله. ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه

فيه، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت:«إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت»[١] .

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورًا وفرحة وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه.

وأيضًا فإنه لما كف لذته، وحبس شهوته لله، وفيها مسرة نفسه الأمارة بالسوء؛ أعاضه الله سبحانه مسرة، ولذة أكمل منها، كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب. ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحًا وسرورًا، ولذة أكمل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وهاهنا يمتاز العقل من الهوى الفائدة السابعة أنه يخلص القلب من أسر الشهوة فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه، فهو كما قيل :

(طليق برأي العين وهو أسير)، ومتى أسرت الشهوة، والهوى القلب تمكن منه عدوه، وسامه سوء العذاب:

وصاركعصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو و يلعب

الفائدة الثامنة: أنه يسد عنه بابًا من أبواب جهنم فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتى هتك الحجاب ضَرِيَ على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند

---

[١] رواه أحمد (١/ ٢٠٠) من حديث الحسن رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد، فصاحب الطارف لا يقنعه التليد، وإن كان أحسن منه منظرًا وأطيب مخبرًا، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه .

الفائدةالتاسعة: أنه يقوي عقله، ويزيده، ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله، لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصة العقل ملاحظة العواقب، ومرسل النظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه، لما أطلق بصره قال الشاعر:

و أعقل الناس من لم يرتكب سببًا حتى يفكر ما تجني عواقبه

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلب من سكر الشهوة، ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالى عن عشاق الصور:﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر:٧٢]، فالنظرة كأس من خمر، والعشق: هو سكر ذلك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر، فإن سكران الخمر يفيق وسكران العشق قلما يفيق، إلا وهو في عسكر الأموات، كما قيل:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقته من به سُكران

[فوائد غض البصر]

وفوائد غض البصر وآفات إرساله أضعاف أضعاف **ما ذكرنا** وإنما نبهنا عليه تنبيهًا، ولا سيما النظر إلى من لم يجعل الله سبيلا إلى قضاء الوطر منه شرعًا، كالمردان الحسان فإن إطلاق النظر إليهم: السم الناقع، والداء العضال، وقد روى الحافظ محمد بن ناصر من حديث الشعبي مرسلًا قال: قدم وفد عبدالقيس على النبي فيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة فأجلسه النبي وراء ظهره وقال: كانت خطيئة من مضى من النظر، وقال سعيد بن المسيب إذا رأيتم الرجل يحد النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه .وقد ذكر ابن عدي في كامله[1] من حديث بقية عن الوازع عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نهى رسول الله أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد .

وكان إبراهيم النخعي وسفيان الثوري وغيرهما من السلف ينهون عن مجالة المردان. قال النخعي: مجالستهم فتنة، وإنما هم بمنزلة النساء.

وبالجملة فكم من مرسل لحظاته، رجع بجيش صبره مغلولًا ولم يقلع حتى تشحط بينهم قتيلًا . اهـ كلام ابن القيم، وهو كلام نفيس.

---

[1] ذكره ابن عدي في الكامل(٧/ ٢٥٥٧-٢٥٥٨) في ترجمة الوازع بن نافع العقيلي الجزري، وهو متروك.

العفة

قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾[المؤمنون:١-٧].

وقال الله تعالى :﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ*وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[النور:٣٠-٣١].

وقال تعالى:﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا

عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:٣٣]، وقال سبحانه وتعالى:﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٦٠].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».

رواه البخاري برقم (٦٦٠) ومسلم برقم (١٠٣١).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله، فَادْعُوا اللهَ بِهَا؛ لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ

فَافْرُجْ لَنَا فَرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ اللهُ فَرَأَوْا السَّمَاءَ.

وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَطَلَبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى أَتَيْتُهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ الله اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً فَفَرَجَ .

وَقَالَ الثَّالِثُ اللهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ؛ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ، فَقُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ وَرُعَاتِهَا فَخُذْ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ فَخُذْ فَأَخَذَهُ؛ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ مَا بَقِيَ. فَفَرَجَ اللهُ ».

رواه البخاري برقم(٢٣٣٣) ومسلم برقم (٢٧٤٣).

روى البخاري برقم (٢٩٤١) ومسلم برقم (١٧٧٣) من حديث أبي سفيان رضي الله عنه في صفة دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال أبو سفيان: « يَقُولُ اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالصِّلَةِ».

وَعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ - رضى الله عنه - : أَنَّ نَاساً مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَاهُمْ ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ :«مَا يَكُونُ عِنْدِى مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ ، وَمَا أُعْطِىَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ» . رواه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).

وفي صحيح مسلم برقم (١٠٥٤): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ رَكِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ وَقَالَ:« يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ:« تَعَفَّفْ »، قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ .«أَرَأَيْتَ إِنْ أَصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ يَكُونُ الْبَيْتُ فِيهِ بِالْعَبْدِ يَعْنِي الْقَبْرَ كَيْفَ تَصْنَعُ؟» قُلْتُ :اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:« اصْبِرْ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَعْنِي حَتَّى تَغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنْ الدِّمَاءِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟» .

قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .قَالَ :«اقْعُدْ فِي بَيْتِكَ وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ قَالَ فَإِنْ لَمْ أُتْرَكْ قَالَ فَأْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُمْ فَكُنْ فِيهِمْ ».قَالَ فَآخُذُ سِلَاحِي قَالَ:« إِذَنْ تُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ وَلَكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى يَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ».

رواه الإمام أحمد (٥/ ١٤٩)، وهو حديث صحيح.وقد صححه شيخنا الإمام الوادعي رحمه الله في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين (١/ ٢١٣-٢١٤).

واعلم: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

فكن على إيمان بالقدر: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

وأضرب لك مثالًا بعفة يوسف عليه السلام مع ضروب المغريات للوقوع في الفاحشة وهي كما يلي:

١- ما ركَّب الله سبحانه في طبع الرجل من ميله إلى المرأة، كما يميل العطشان إلى الماء، والجائع إلى الطعام، حتى إن كثيرًا من الناس يصبر عن الطعام والشراب، ولا يصبر عن النساء، وهذا لا يذم إذا وافق حلالًا؛ بل يحمد.

٢- أن يوسف عليه السلام كان شابًا، وشهوة الشباب وحدته أقوى.

٣- أنه كان عزبًا، لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة شهوته.

٤- أنه كان في بلاد غربة، ويتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما لا يتأتى لغيره في وطنه، وبين أهله ومعارفه، ومع ذلك تعفف.

٥- أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، بحيث أن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى مواقعتها.

٦- أنها غير أبية ولا ممتنعة، وهذا مما يضاعف الرغبة في النساء عند أكثر الناس.

٧- أنها هي التي طلبت وأرادت وبذلت الجهد، فكفته مؤنة الطلب، وذل الرغبة إليها، بل كانت هي الراغبة الذليلة، وهو العزيز المرغوب.

٨- أنه في دارها، وتحت سلطانها وقهرها، بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له، فاجتمع داعي الرغبة والرهبة.

٩- أنه لا يخشى أن تنمي عليه هي، ولا أحد من من جهتها.

١٠- أنها قد غلقت الأبواب، وغيبت الرقباء؛ بحيث لا يطلع عليهما أحد من البشر.

١١- أنه كان مملوكًا في دارها؛ بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه، وكان الأُنس سابقًا على الطلب، وهو من أقوى الدواعي، كما قيل لامرأة من العرب: ما حملك على كذا؟

قالت: قرب الوساد، وطول السواد، تعني: قرب وساد الرجل من وسادتي، وطول السواد بيننا.

١٢- استعانتها عليه بصاحبات المكر والاحتيال، فأرته إياهن، وشكت حالها إليهن، لتستعين بهن عليه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لله مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[يوسف: ٣٠-٣٢].

فاستعان عليهن بالله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[يوسف:٣٣].

١٣- أنها توعدته بالسجن والصغار، وهذا نوع إكراه، فهو تهديد ممن يقدر على إيقاع الشربه.

١٤- أن الزوج لم يظهر من الغيرة شيئًا.

١٥- أن الزوج لم يفرق بينهما[١].

١٦- كيفية طلبها، إذ كان بتلهف ورغبة شديد: هيت لك.

١٧- الهم الذي خطر بنفس يوسف عليه السلام، وهذا لا يؤاخذ عليه، لأنه لم ينفذ منه شيئًا.

١٨- فراره وهروبه منها، واتباعها له، تريد منه أن يفعل الفاحشة.

١٩- شكواها به إلى سيدها بعكس القضية، كل ذلك مكر به حتى يفعل ما تريد منه.

٢٠- طلب أولئك النسوة من يوسف ما طلبته منه امرأة العزيز، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾[يوسف:٥١].

---

[١] راجع "روضة المحبين (ص٢٦١-٢٦٤)والداء والدواء صـ٣١٩-٣٢٢ــ للإمام ابن القيم و"تفسير القاسمي" (٩/ ٢٣٩-٢٤١).

وجوب الصبر عن الحرام

إن الصبر عن الحرام من الضروريات بل من الواجبات، ومن لايحالفه الصبرعن الحرام، رتع فيه ، قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ فِي مُحْكَمِ التنزيل:﴿ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦] ، والذي ما يصبر عن الحرام، يصبر على النار عياذًا بالله، قال تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾[البقرة:١٧٥].

وقال تعالى:﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠]، وقال تعالى:﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[الكهف:٢٨].

فالصبر طريق النجاح ، والفوز والفلاح قال الله تعالى عن لقمان وهو يوصي ولده بالصبر:﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[لقمان:١٧]، وَ قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺكما في مجموع الفتاوى(٣/ ٣٥٨):

(فالصبر واليقين بهما تنال الإمامة في الدين) اهـ.

وفي سنن أبي داود برقم(٤٢٦٣) عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ قَالَ ايْمُ الله لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:« إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ

فَوَاهًا». أي فوا عجبًا له.

هذا حديث حسن.

قال الإمام ابن قيم الجوزية في عدة الصابرين صـ٥٦ -٥٧:

الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام:

كل أحد لابد أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً، وإما اضطراراً؛ فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه ويذم على الجزع، وأنه إن لم يرد الجزع عليه فائتًا ولم ينزع منه مكروهاً، وأن المقدور لا حيلة في دفعه وما لم يقدر لا حيلة في تحصيله فالجزع ضره أقرب من نفعه، قال بعض العقلاء:

العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الأحمق بعد شهر كما قيل:

وأن الأمر يفضى إلى آخر فيصير أخره أولاً

فاذا كان آخر الأمر الصبر والعهد غير محمود فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره.

وقال بعض العقلاء:من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم.

فالكريم ينظر إلى المصيبة فإن رأى الجزع يردها ويدفعها فهذا قد ينفعه الجزع، وإن كان الجزع لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين.

فصل

وأما اللئيم، فإنه يصبر اضطراراً، فإنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدى عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب، وأيضاً فالكريم يصبر في طاعة الرحمن، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان، فاللئام أصبر الناس في طاعة أهوائهم وشهواتهم، وأقل الناس صبراً في طاعة ربهم، فيصبر على البذل في طاعة الشيطان أتم صبر، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء، ويصبر على تحمل المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه، ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية، ولا يصبر على ما يقال في عرضه إذا أوذي في الله، بل يفر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يتكلم في عرضه في ذات الله، ويبذل عرضه في هوى نفسه ومراده ولا يصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته، فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة الشيطان، ومراد النفس، وأعجز شيء عن الصبر على ذلك في الله، وهذا أعظم اللؤم، ولا يكون صاحبه كريماً عند الله، ولا يقوم مع أهل الكرم إذا نودي بهم يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم: أين المتقون؟

اهـ كلام ابن القيم رحمه الله.

تحريم الزنا

قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[الإسراء:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[الفرقان:٦٨]، وقال سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الممتحنة:١٢].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يبايع أصحابه على عدم الزنا؛ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ عَائِذ الله أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهُوَ مِنْ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَصْحَابِهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ:« تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللهُ فَأَمْرُهُ إِلَى الله إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ قَالَ فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ».

رواه البخاري برقم(٣٨٩٢) ومسلم برقم(١٧٠٩).

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ يَقُولُ لِجَارِيَةٍ لَهُ: اذْهَبِي

فَابْغِينَا شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور:٣٣].رواه مسلم برقم (٣٠٢٩).

وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ:« هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» قَالَ: فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ:« إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا .... فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ قَالَ فَأَحْسِبُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ» .

قَالَ:« فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللهَبُ ضَوْضَوْا، قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ قَالَا لِي:... وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي ...»

الحديث. رواه البخاري برقم (٧٠٤٧).

وروى الترمذي (٣١٧٧): عَنْ عَبْدِ الله بن عَمْرٍو قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ، وَكَانَ رَجُلًا يَحْمِلُ الْأَسْرَى مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِمْ الْمَدِينَةَ قَالَ: وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا عَنَاقٌ، وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ، وَإِنَّهُ كَانَ وَعَدَ رَجُلًا مِنْ أُسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ قَالَ: فَجَاءَتْ عَنَاقٌ فَأَبْصَرَتْ سَوَادَ ظِلِّي بِجَنْبِ الْحَائِطِ، فَلَمَّا انْتَهَتْ إِلَيَّ عَرَفَتْهُ فَقَالَتْ: مَرْثَدٌ؟ فَقُلْتُ: مَرْثَدٌ، فَقَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا هَلُمَّ فَبِتْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا عَنَاقُ حَرَّمَ اللهُ الزِّنَا، قَالَتْ: يَا أَهْلَ

الْخِيَامِ هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أَسْرَاكُمْ، قَالَ: فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةٌ وَسَلَكْتُ الْخَنْدَمَةَ فَانْتَهَيْتُ إِلَى كَهْفٍ أَوْ غَارٍ، فَدَخَلْتُ فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي فَبَالُوا فَطَلَ بَوْلُهُمْ عَلَى رَأْسِي، وَأَعْمَاهُمْ اللهُ عَنِّي، قَالَ: ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ، وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْإِذْخِرِ، فَفَكَكْتُ عَنْهُ كَبْلَهُ فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعْيِينِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنْكِحُ عَنَاقًا؟ فَأَمْسَكَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ : «**يَا مَرْثَدُ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فَلَا تَنْكِحْهَا**».

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وأدلة تحريم الزنا كثيرة، وحكمه: التحريم معلوم ،فلا نطيل، وقى الله المسلمين شر الزنا وأهله.

أضرار جريمة الزنا !

قال ابن القيم في روضة المحبين صـ٢٩٥ـ٢٩٨ـ:

والزنى يجمع خلال الشر كلها من:

١- قلة الدين.

٢- وذهاب الورع.

٣- وفساد المروءة.

٤- وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة على صديق، ولا غيرة تامة على أهله، فالغدر، والكذب، والخيانة، وقلةالحياء، وعدم المراقبة، وعدم الأنفة للحرم، وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته.

ومن موجباته:

١- غضب الرب؛ بإفساد حرمه وعياله، ولو تعرض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة.

٢- ومنها سواد الوجه، وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه للناظرين.

٣- ومنها ظلمة القلب وطمس نوره وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له.

٤- ومنها الفقر اللازم .

٥- ومنها أنه يذهب حرمة فاعله، ويسقطه من عين ربه ومن أعين عباده.

٦- ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم العفة، والبر، والعدالة، ويعطيه أضدادها كاسم الفاجر، والفاسق، والزاني، والخائن.

٧- ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين[١] عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»، فسلبه اسم الإيمان المطلق وإن لم يسلب عنه مطلق الإيمان؛ وسئل جعفر بن محمد عن هذا الحديث فخط دائرة في الأرض وقال هذه دائرة الإيمان ثم خط دائرة أخرى خارجة عنها وقال هذه دائرة الإسلام فإذا زنى العبد خرج من هذه ولم يخرج من هذه[٢].

ولا يلزم من ثبوت جزء ما من الإيمان له أن يسمى مؤمنًا، كما أن الرجل يكون معه جزء من العلم والفقه، ولا يسمى به عالمًا فقيهًا،

---

[١] رواه البخاري برقم (٢٤٧٥) ومسلم برقم (٥٧)هن أبي هريرة.

[٢] رواه الآجري برقم (٢٢٤-٢٢٥)وهو ضعيف في سنده فيه فضيل بن يسار قد كُذِّب كما في لسان الميزان، كما ذكرته في تحقيق الشريعة .

ومعه جزء من الشجاعة، والجود ولا يسمى بذلك شجاعًا ولا جوادًا، وكذلك يكون معه شيء من التقوى، ولا يسمى متقيًا، ونظائره.

فالصواب اجراء الحديث على ظاهره، ولا يتأول بما يخالف ظاهره. والله أعلم.

٨- ومنها أن يعرض نفسه لسكنى التنور الذي رأى النبي فيه الزناة والزواني.

٩- ومنها أنه يفارقه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف، ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزناة كما قال الله تعالى ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾[النور: ٢٦]، وقد حرم الله الجنة على كل خبيث بل جعلها مأوى الطيبين ولا يدخلها إلا طيب قال الله تعالى:﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:٣٢] وقال تعالى﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[الزمر: ٧٣] ، فإنما استحقوا سلام الملائكة ودخول الجنة بطيبهم والزناة من أخبث الخلق، وقد جعل الله سبحانه جهنم دار الخبيث وأهله، فإذا كان يوم القيامة ميز الخبيث من الطيب، وجعل الخبيث بعضه على

بعض ثم ألقاه، وألقى أهله في جهنم، فلا يدخل النار طيب ولا يدخل الجنة خبيث .

١٠- ومنها الوحشة التي يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه فالعفيف على وجهه حلاوة وفي قلبه أنس ومن جالسه استأنس به والزاني تعلو وجهه الوحشة ومن جالسه استوحش به .

١١- ومنها قلة الهيبة التي تنزع من صدور أهله وأصحابه وغيرهم له، وهو أحقر شيء في نفوسهم وعيونهم، بخلاف العفيف فإنه يرزق المهابة والحلاوة.

١٢- ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حرمته ولا على ولده.

١٣- ومنها الرائحة التي تفوح عليه يشمها كل ذي قلب سليم، تفوح من فيه وجسده، ولولا اشتراك الناس في هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه ولكن كما قيل:

كل به مثل ما بي غير أنهم من غيرة بعضهم للبعض عذال

١٤- ومنها ضيقة الصدر، وحرجه، فإن الزناة يعاملون بضد قصودهم فإن من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه، عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل

الله معصيته سببًا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة، والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيش، لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له، دع ربح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته.

١٥- ومنها أنه يعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن، وقد تقدم أن الله سبحانه وتعالى إذا كان قد عاقب لابس الحرير في الدنيا بحرمانه لبسه يوم القيامة، وشارب الخمر في الدنيا بحرمانه إياها يوم القيامة، فكذلك من تمتع بالصور المحرمة في الدنيا، بل كل ما ناله العبد في الدنيا فإن توسع في حلاله ضيق من حظه يوم القيامة بقدر ما توسع فيه وإن ناله من حرام فاته نظيره يوم القيامة.

١٦- ومنها أن الزنى يجرئه على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق، وإضاعة أهله، وعياله، وربما قاده قسرًا إلى سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالسحر، وبالشرك، وهو يدري أو لا يدري، فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها.

١٧- ومعها ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصي بعدها، فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها، وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر

الدنيا والآخرة، وأمنع شيء لخير الدنيا والآخرة، وإذا علقت بالعبد فوقع في حبائلها، وأشراكها، عز على الناصحين استنقاذه، وأعيى الأطباء دواؤه، فأسيرها لا يفدى، وقتيلها لا يودى، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النعم، فإذا ابتلي بها عبد؛ فليودع نعم الله، فإنها ضيف سريع الانتقال، وشيك الزوال، قال الله تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال:٥٣] ، وقال تعالى:﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[الرعد: ١١] .

تحريم العِشْقِ

قال ربنا سبحانه وتعالى في محكم تنزيله العظيم:﴿ فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾[النازعات:٣٧-٤١] .

وقد ذم الله اتباع الهوى فقال تعالى:﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[محمد: ١٦]، وَقَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ:مخاطبًا بعض أشرف أنبيائه:﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [صّ:٢٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في روضة المحبين ونزهة المشتاقين صـ١٢٩:

والعقلاء قاطبة مطبقون على لوم من يحب ما يتضرر بمحبته وهذا فطرة فطر الله عليها الخلق فلو اعتذر بأني لا أملك قلبي لم يقبلوا له عذرًا .

فصل

ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف إنما ابتلى به من الداء المضاد للتوحيد أولًا، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بم يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه، ويكثر اللجاء والتضرع الى الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه؛ حيث قال:﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[يوسف: ٢٤]، وأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء من العشق، والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا خلص وأخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور؛ فإنه إنما تمكن من قلب فارغ كما قال :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليًا فتمكنا

وليعلم العاقل أن العقل والشرع قد يوجبان تحصيل المصالح وتكميلها، وإعدام المفاسد، وتقليلها، فإذا عرض للعاقل أمر يرى فيه المصلحة، والمفسدة، وجب عليه أمران :

أمر علمي، وأمر عملي؛ فالعلمي: طلب معرفة الراجح من طرفي المصلحة والمفسدة .

فإذا تبين له الرجحان وجب عليه إتيان الأصلح له، ومن المعلوم أنه ليس في عشق الصور مصلحة دينية، ولا دنيوية، بل مفسدته الدينية والدنيوية أضعاف أضعاف ما يقدر فيه من المصلحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بذكر المخلوق، وحبه عن حب الرب تعالى وذكره، فلا يجتمع في القلب هذا وهذا إلا ويقهر أحدهما صاحبه، ويكون السلطان والغلبة له.

الثاني: عذاب قلبه بمعشوقه، فإن من أحب شيئًا غير الله عذب به ولا بد كما قيل:

فما في الأرض أشقى من محب وإن وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيًا في كل حين مخافة فرقة أو لاشتياق
فيبكي إن نأوًا شوقًا إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الفراق وتسخن عينه عند التلاق

والعشق وإن استلذ به صاحبه فهو من أعظم عذاب القلب .

الثالث: أن العاشق قلبه أسير في قبضة معشوقه يسومه الهوان، ولكن لسكرة العشق لا يشعر بمصابه فقلبه كالعصفورة في كف الطفل يسومها حياض الردى والطفل يلهو ويلعب، فيعيش العاشق عيش الأسير الموثق، ويعيش الخلي عيش المسيب المطلق، والعاشق كما قيل:

طليق برأي العين وهو أسير عليل على قطب الهلاك يدور
وميت يرى في صورة الحي غاديًا وليس له حتى النشور نشور
أخو غمرات ضاع فيهن قلبه فليس له حتى الممات حضور

الرابع: أنه يشتغل به عن مصالح دينه، ودنياه، فليس شيء أضيع لمصالح الدين والدنيا من عشق الصور. أما مصالح الدين فإنها منوطة بلم شعث القلب وإقباله على الله، وعشق الصور أعظم شيئًا تشعيثًا وتشتيتاً له.

وأما مصالح الدنيا فهي تابعة في الحقيقة لمصالح الدين؛ فمن انفرطت عليه مصالح دينه، وضاعت عليه، فمصالح دنياه أضيع وأضيع.

الخامس: أن آفات الدنيا والآخرة أسرع إلى عشاق الصور من النار في يابس الحطب، وسبب ذلك أن القلب كلما قرب من العشق قوى اتصاله به بعد من الله، فأبعد القلوب من الله؛ قلوب عشاق الصور، وإذا بعد القلب من الله طرقته الآفات من كل ناحية، فإن الشيطان يتولاه من تولاه عدوه، واستولى عليه لم يأله وبالًا، ولم يدع أذى يمكنه إيصاله إليه إلا أوصله، فما الظن من قلب تمكن منه عدوه، وأحرص الخلق على عيبه، وفساده وبعده من وليه ومن لا سعادة له ولا فلاح ولا سرور إلا بقربه ولا ولايته.

السادس: أنه إذا تمكن من القلب واستحكم وقوى سلطانه، أفسد الذهن، وأحدث الوساوس، وربما التحق صاحبه بالمجانين الذين فسدت عقولهم، فلا ينتفعون به، وأخبار العشاق في ذلك موجودة في مواضعها، بل بعضها يشاهد بالعيان، وأشرف ما في الإنسان عقله، وبه يتميز عن سائر الحيوانات، فإذا عدم عقله التحق بالبهائم، بل ربما كان حال الحيوان أصلح من حاله، وهل أذهب عقل مجنون ليلى وأضرابه إلا العشق وربما زاد جنونه على جنون غيره كما قيل:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون بالحين

السابع: أنه ربما أفسد الحواس أو نقصها إما فسادًامعنويًا أو صوريًا.

أما الفساد المعنوي: فهو تابع لفساد القلب، فإن القلب إذا فسد فسدت العين، والأذن، واللسان، فيرى القبيح حسنًا منه، ومن معشوقه كما في المسند مرفوعًا «حبك الشيء يعمي ويصم»[1].

فهو يعمي عين القلب عن رؤية مساوي المحبوب وعيوبه، فلا ترى العين ذلك، ويصم أذنه عن الإصغاء إلى العذل فيه، فلا تسمع الأذن ذلك، والرغبات تستر العيوب، فإن الراغب في شيء لا يرى عيوبه؛ حتى إذ زالت رغبته فيه أبصر عيوبه، فشدت الرغبة غشاوة على العين تمنع من رؤية الشيء على ما هو عليه، كما قيل:

هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

والداخل في الشيء لا يرى عيوبه، والخارج منه الذي لم يدخل فيه لا يرى عيوبه، ولا يرى عيوبه إلا من دخل فيه ثم خرج منه، ولهذا كان الصحابة الذين دخلوا في الاسلام بعد الكفر خير من الذين ولدوا في الاسلام، قال عمر بن

---

[1] الحديث رواه أحمد (٥/ ١٩٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفي سنده أبو بكر بن أبي مريم ضعيف ، وقد اختلف في رفعه ووقفه. وانظر الضعيفة برقم (١٨٦٨).

الخطاب رضي الله عنه: إنما ينتقض عرى الاسلام عروة عروة، إذا ولد في الاسلام من لا يعرف الجاهلية.

وأما فساده للحواس ظاهرًا :فإنه يمرض البدن وينهكه، وربما أدى الى تلفه كما هو المعروف في أخبار من قتله العشق، وقد رفع الى ابن عباس وهو بعرفة شاب قد انتحل حتى عاد جلدًا على عظم، فقال:

ما شأن هذا؟ قالوا به العشق، فجعل ابن عباس يستعيذ بالله من العشق عامة يومه.

الثامن: كما تقدم هو الإفراط في المحبةبحيث يستولي المعشوق على القلب من العاشق، حتى لا ولو من تخيله، وذكره، والفكر فيه بحيث لا يغيب عن خاطره وذهنه، فعند ذلك تشتغل النفس بالخواطر النفسانية، فتتعطل تلك القوى، فيحدث بتعطيلها من الآفات على البدن والروح ما يعز دواؤه، فتتغير أفعاله وصفاته ومقاصده ويختل جميع ذلك فتعجز البشر عن صلاحه، كما قيل:

الحب أول ما يكون لجاجة يأتى بها وتسوقه الأقدار

حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

والعشق مباديه سهلة حلوة، وأوسطه هم، وشغل قلب، وسقم، وآخره عطب، وقتل؛ إن لم يتداركه عناية من الله، كما قيل:

وعش خاليًا فالحب أوله عنا ء وأوسطه سقم وآخره قتل

وقال آخر :

تولع بالعشق حتى عشق فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة فلما تمكن منها غرق

والذنب له فهو الجاني على نفسه، وقد قعد تحت المثل السائر يداك أوكتا وفوك نفخ اهـ.

وقال ابن القيم في الداء والدواء صـ٣٣٣-٣٣٥:

وقد تنصر جماعة ممن نشأ في الإسلام بسبب العشق، كما جرى لبعض المؤذنين حين أبصر وهو على سطح مسجد امرأة جميلة ففتن بها، فنزل ودخل عليها، وسألها نفسها، فقالت: هي نصرانية فإن دخلت في ديني تزوجت بك، ففعل فرقى في ذلك اليوم على درجة عندهم فسقط منها فمات. ذكر هذا عبد الحق في كتاب «العاقبة » له .

وإذا أراد النصارى أن ينصروا الأسير أروه امرأة جميلة، وأمروها أن تطمعه في نفسها حتى إذا تمكن حبها من قلبه بذلت له نفسها إن دخل في دينها، فهنالك ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾[ابراهيم:٢٧]، وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه لمعاونته له على الفاحشة، وظلمه لنفسه، فكل منهما ظالم لنفسه، وصاحبه، وظلمهما متعد إلى الغير كما تقدم، وأعظم من ذلك ظلمهما بالشرك فقد تضمن العشق أنواع الظلم كلها.

والمعشوق إذا لم يتق الله فإنه يعرض العاشق للتلف؛ وذلك ظلم منه بأن يطمعه في نفسه ويتزين له ويستميله بكل طريق حتى يستخرج منه ماله ونفعه، ولا يمكنه من نفسه لئلا يزول غرضه بقضاء وطره منه؛ فهو يسومه سوء العذاب.

والعاشق ربما قتل معشوقه ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره، وكم للعشق من قتيل من الجانبين، وكم قد زال من نعمة، وأفقر من غني، وأسقط من مرتبة، وشتت من شمل، وكم أفسد من أهل للرجل، وولد، فإن المرأة إذا رأت بعلها عاشقًا لغيرها اتخذت هي معشوقًا لنفسها، فيصير الرجل مترددًا بين خراب بيته بالطلاق، وبين القيادة، فمن الناس من يؤثر هذا، ومنهم من يؤثر هذا، فعلى العاقل أن يحكم على نفسه سد عشق الصور لئلا يؤذيه، ويؤديه ذلك إلى الهلاك؛ و هذه المفاسد، وأكثرها، أو بعضها.

فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه والمغرر بها، فإذا هلكت فهو الذي أهلكها فلولا تكراره النظر الى وجه معشوقه وطمعه في وصاله لم يتمكن عشقه من قلبه.

فإن أول أسباب العشق الاستحسان، سواء تولد عن نظر أو سماع، فإن لم يقارنه طمع في الوصال، وقارنه الإياس من ذلك لم يحدث له العشق، فإن اقترن به الطمع فصرفه عن فكره ولم يشغل قلبه به لم يحدث له ذلك، فإن أطاع مع ذلك الفكر في محاسن المعشوق، وقارنه خوف ما هو أكبر عنده من لذة وصاله؛ إما خوف ديني كخوف النار، وغضب الجبار، واجتناب الأوزار، وغلب هذا

الخوف على ذلك الطمع والفكر، لم يحدث له العشق فإن فاته هذا الخوف وقارنه خوف دنيوي كخوف إتلاف نفسه، وماله، وذهاب جاهه، وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعز عليه، وغلب هذا الخوف لداعي العشق دفعه، وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هو أحب إليه، وأنفع له من ذلك المعشوق، وقدم محبته على محبة المعشوق اندفع عنه العشق، فانتفاه ذلك كله، أو غلبت محبة المعشوق لذلك انجذب إليه القلب بالكلية، ومالت إليه النفس كل الميل .اهـ.

ذم اتباع الهوى

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ».

رواه البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٣)، وَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ: شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ، وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى».

رواه أحمد (٤/ ٤٢٠) وابن أبي عاصم برقم (١٤) .وهو حديث صحيح.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنْ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ؛ اللهُ مَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا .فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ :فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا».

رواه البخاري برقم (٣١٢٤) ومسلم برقم(١٧٤٧).

العاشق عبدٌ للّه، وليس عبداً لشهواته

وَقَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذريات:٥٦]، فخلق الخلق لعبادته، وأمره بطاعته، وأن تكون حياتهم كلها لله، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ*لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وهو أول واجب، وآكد الواجبات على العباد؛ عبادته وحده دون غيره لا يشركون به شيئا؛ لحديث مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلمَ عَلى حِمَارٍ يُقَالُ لهُ عُفَيْرٌ،فَقَال:«يَا مُعَاذُ! هَلْ تَدْرِي حَقَّ الله عَلى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلى الله؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلمُ .قَال:«فَإِنَّ حَقَّ الله عَلى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلى اللهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» .

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَال:«لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا ».

رواه البخاري برقم (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

وأول ما يجب علمًا وعملًا ودعوةً، لما في صحيح البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩)-٣٠ :عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلمَ بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلى الْيَمَنِ، فَقَال: «ادْعُهُمْ إِلى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ؛ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلى فُقَرَائِهِمْ».

وهذا ما داوم عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم طيلة حياته، ولم يفرط فيه أو يقصر حتى توفاه الله، وهو آخر ما عهد إلى أصحابه وأمته؛ لحديث عَائِشَةَ وَعَبْدِ الله بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالا: لَمَّا نَزَل بِرَسُولِ الله صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لهُ عَلى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ يَقُولُ:«**لعْنَةُ الله عَلى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. رواه البخاري (٤٤٤٤) ومسلم برقم (٥٣١).

وعلى ذلك درج أصحابه والصالحون، وأئمة الدين بعدهم على إثرهم، والأدلة كثيرة في ذلك، وليس ثمة حرف واحد يدل على خلاف ذلك.

وهو آخر واجب على العبد، فعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**لقنوا موتاكم لا إلا الله**» رواه مسلم برقم(٩١٦، ٩١٧).

وعند أحمد (٥/ ٢٢٩و٢٣٣) عن معاذ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة**».وهو حديث حسن.

وقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[آل عمران:١٩١]، وقال سبحانه:﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ**﴾[صّ:٢٧]، وقال رب العزة والجلال:﴿**مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً**

وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:٣]، وأخبر تعالى عن حال هذا الإنسان أنه محاسب عليه كله، فقال تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق:١٦].

لذلك حذَّر الله عباده عن معصيته فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر:١٠] ، وتوعَّد العصاة الفجرة بقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾[الزمر:١٦] .

ورغَّب عباده الطائعين الذين لم يعبدوا غيره؛ وبشرهم فقال:﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر:١٧]، وقال تعالى:﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨].

أقسام العشق

قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ في الداء والدواء صـ٣٢٣-٣٢٩:

وهو أقسام، وهو تارة يكون كفرًا، لمن اتخذ معشوقه ندًا يحبه كما يحب الله؛ فكيف إذا كانت محبته أعظم من محبة الله في قلبه؛ فهذا عشق لا يغفر لصاحبه، فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشرك به، وإنما يغفر بالتوبة الماحية ما دون ذلك.

وعلامة هذا العشق الشركي الكفرى: أن يقدم العاشق رضاء معشوقه على رضاء ربه، وإذا تعارض عنده حق معشوقه وحقه وحق ربه وطاعته؛ قدم حق معشوقه على حق ربه، وآثر رضاه على رضاه، وبذل لمعشوقه أنفس ما يقدر عليه، وبذل لربه إن بذل أردى ما عنده، واستفرغ وسعه في مرضات معشوقه وطاعته والتقرب إليه، وجعل لربه إن أطاعه الفضلة التي تفضل عن معشوقه من ساعاته، فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم في كفة، وإيمانهم في كفة، ثم زن وزنًا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويطابق العدل، وربما صرح العاشق منهم بأن وصل معشوقه أحب إليه من توحيد ربه، كما قال العاشق الخبيث:

يترشفن من فمي رشفات هن أحلى فيه من التوحيد

وكما صرح الخبيث الآخر بأن وصل معشوقه أشهى إليه من رحمة ربه، فعياذًا بك اللهم من هذا الخذلان، ومن هذا الحال، قال الشاعر:

وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

ولا ريب أن هذا العشق من أعظم الشرك، وكثير من العشاق يصرح بأنه لم يبق في قلبه موضع لغير معشوقه البتة، بل قد ملك معشوقه عليه قلبه كله فصار عبدًا مخلصًا من كل وجه لمعشوقه، فقد رضي هذا من عبودية الخالق جل جلاله بعبودية المخلوق مثله، فإن العبودية هي كمال الحب والخضوع، وهذا قد استغرق قوة حبه، وخضوعه، وذله لمعشوقه، فقد أعطاه حقيقة العبودية، ولا نسبة بين مفسدة هذا الأمر العظيم، ومفسدة الفاحشة. فإن تلك ذنب كبير لفاعله، حكمه حكم أمثاله، ومفسدة هذا العشق مفسدة الشرك .

وكان بعض الشيوخ من العارفين، يقول: لئن أبتلى بالفاحشة مع تلك الصورة، أحب إلى من أن أبتلى فيها بعشق يتعبد لها قلبي ويشغله عن الله .اهـ

هذا والعشق على مراتب:

فمنه ما يكون كفرًا وشركًا بالله العظيم.

ومنه ما يكون معصية كبيرة؛ يستحق صاحبها الإثم والعقوبة من الله تبارك وتعالى.

ومنه ما يجوز كما ذكرته في موضعه نقلًا عن ابن القيم رحمه الله .

وكلامنا في العشق على ما يحرم منه، لأنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، واتباع للهوى، وزيغ للقلب، وخبل للعقل، وصرف للنفي عما خلقت له من طاعة الله وعبادته، ومعارضة للقدر، وعدم رضى بما قسمه الله تعالى، وترك للاستسلام وغيرها من المفاسد المترتبة على العشق المقيت.

أقسام الناس في العشق

قال الإمام ابن قيم الجوزية في الداء والدواءصـ٣٧٠-٣٧١ـ:

فعشق الناس النساءَ ثلاث أقسام:

١- عشق هو قربة وطاعة؛ وهو عشق الرجل امرأته، وجاريته، وهذا العشق نافع، فإنه أدعي إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر، والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يحمد هذا العاشق عند الله، وعند الناس .

٢- وعشق هو مقت عند الله، وبعد من رحمته، وهو أضر شيء على العبد في دينه ودنياه؛ وهو عشق المردان فما ابتلى به إلا من سقط من عين الله، وطرد عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله كما قال بعض السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان. وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت وما أوتوا إلا من هذا العشق، قال الله تعالى:﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[الحجر:٧٢]، ودواء هذا الداء الردى:

١) الاستعانة بمقلب القلوب.

٢) وصدق اللجأ إليه.

٣) والاشتغال بذكره.

٤) والتعوض بحبه وقربه.

٥) والتفكر بالألم الذي يعقبه هذا العشق، واللذة التي تفوته به. فترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه. فإذا قدمت نفسه على هذا، وآثرته؛ فليكبر على نفسه تكبير الجنازة وليعلم أن البلاء قد أحاط به.

٣- والقسم الثالث من العشق: العشق المباح؛ الذي لا يملك، كعشق من صورت له امرأة جميلة أو رآها فجأة من غير تصد، فاورثته ذلك عشقًا لها، ولم يحدث له ذلك العشق معصية، فهذا لا يملك ولا يعاقب عليه، والأنفع له مدافعته، والاشتغال بما هو أنفع له منه، والواجب على هذا أن يكتم ويعف، ويصبر على بلواه فيثيبه الله على ذلك ويعوضه على صبره لله، وعفته، وترك طاعته هواه، وإيثار مرضاة الله وما عنده .

فصل: والعشاق ثلاثة أقسام:

١ـ منهم من يعشق الجمال المطلق.

٢ـ ومنهم من يعشق الجمال المقيد، سواء طمع بوصاله، أو لم يطمع.

٣ـ ومنهم من لا يعشق إلا من طمع لوصاله.

وبين هذه الأنواع الثلاثة تفاوت في القوة والضعف، فعاشق الجمال المطلق يهيم قلبه في كل واد، وله في كل صورة جميلة مراد :

يومًا بحزوى ويوم بالعقيق وبالعـ ـذيب يومًا ويومًا بالخليصاء

وتارة ينتحي بنجد وآونة شعب العقيق وطورا قصر تيماء

فهذا عشقه أوسع، ولكنه غير ثابت كثير التنقل:

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ويسلاهم من وقته حين يصبح

وعاشق الجمال المقيد أثبت على معشوقه، وأدوم محبة له، ومحبته أقوى من محبة الأول لاجتماعهما في واحد، ويقسم الأولى، ولكن يضعفها عدم الطمع في الوصال، وعاشق الجمال الذي يطمع في وصاله أعقل العشاق وأعرفهم وحبه أقوى لأن الطمع يمده ويقويه. اهـ

وصف الحور العين

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا:﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]،وقال سبحانه وتعالى:﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾[الرحمن:٤٦-٧٤]، وقال الله تعالى:﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ

فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً * إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاء مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾[الواقعة:١٥-٣٧]، وقال الله تبارك وتعالى:﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾[النبأ:٣١-٣٣].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:« أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ؛ يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللحْمِ ». رواه البخاري برقم(٣٢٥٤) ومسلم برقم (٢٨٣٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في النونية صـ٣٧٢-٣٨٠ـــ في وصف الحور:-

يا مطلق الطرف المعذب في الألى ... جردن عن حسن وعن إحسان

لا تسبينك صورة من تحتها ... الداء الدوي تبوء بالخسران

قَبُحَت خلائقها وقبح فعلها ... شيطانة في صورة الإنسان

تنقاد للأنذال والأرذال هم ... أكفاؤها من دون ذي الإحسان

ما ثم من دين ولا عقل ولا ... خلق ولا خوف من الرحمن

وجمالها زور ومصنوع فإن ... تركته لم تطمح لها العينان

طبعت على ترك الحفاظ فمالها ... بوفاء حق البعل قط يدان

إن قصر الساعي عليها ساعة ... قالت وهل أوليت من إحسان

أورام تقويمًا لها استعصت ولم تقبل سوى التعويج والنقصان
أفكارها في المكر والكيد الذي قد حار فيه فكرة الإنسان
فجمالها قشر رقيق تحته ما شئت من عيب ومن نقصان
نقد ردىء فوقه من فضة شيء يظن به من الأثمان
فالناقدون يرون ماذا تحته والناس أكثرهم من العميان
أما جميلات الوجوه فخائنا ت بعولهن وهن للأخدان
والحافظات الغيب منهن التي قد أصبحت فردًا من النسوان
فانظر مصارع من يليك ومن خلا من قبل من شيب ومن شبان
وارغب بعقلك أن تبيع العالي الـ باقي بذا الأدنى الذي هو فاني
إن كان قد أعياك خود مثل ما تبغي ولم تظفر إلى ذا الآن
فاخطب من الرحمن خودا ثم قد م مهرها ما دمت ذا إمكان
ذاك النكاح عليك أيسر إن يكن لك نسبة للعلم والإيمان
والله لم تخرج إلى الدنيا للذ ة عيشها أو للحطام الفاني
لكن خرجت لكي تعد الزاد للـ أخرى فجئت بأقبح الخسران
أهملت جمع الزاد حتى فات بل فات الذي ألهاك عن ذا الشان
والله لو أن القلوب سليمة لتقطعت أسفًا من الحرمان
لكنها سكرى بحب حياتها الد نيا وسوف تفيق بعد زمان

فصل

فاسمع صفات عرائس الجنات ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان
حور حسان قد كملن خلائقًا ومحاسنًا من أجمل النسوان
حتى يحار الطرف في الحسن الذي قد ألبست فالطرف كالحيران
ويقول لما أن يشاهد حسنها سبحان معطي الحسن والإحسان
والطرف يشرب من كؤوس جمالها فتراه مثل الشارب النشوان
كملت خلائقها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان
فتراه يعجب وهو موضع ذلك من ليل وشمس كيف يجتمعان
وفيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الإنسان
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عنـ ـــد مجيئة حتى الصباح الثاني
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل يتصاحبان كلاهما أخوان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود ثغورهن لآلئ سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القصر بالجدران
ولقد روينا أن برقا ساطعا يبدو فيسأل عنه من بجنان
فيقال هذا ضوء ثغر ضاحك في الجنة العليا كما تريان

لله لاثم ذلك الثغر الذي في لثمه إدراك كل أمان
ريانة الأعطاف من ماء الشبا ب فغصنها بالماء ذو جريان
لما جرى ماء النعيم بغصنها حمل الثمار كثيرة الألوان
فالورد والتفاح والرمان في غصن تعالى غارس البستان
والقد منها كالقضيب اللدن في حسن القوام كأوسط القضبان
في مغرس كالعاج تحسب أنه عالي النقا أو واحد الكثبان
لا الظهر يلحقها وليس ثديها بلواحق للبطن أو بدوان
لكنهن كواعب ونواهد فثديهن كألطف الرمان
والجيد ذو طول وحسن في بيا ض واعتدل ليس ذا نكران
يشكو الحلي بعاده فهل مدى الـ أيام وسواس من الهجران
والمعصمان فإن تشأ شَبِهًما بسبيكتين عليهما كفان
كالزبد لينًا في نعومة ملمس أصداف در دورت بوزان
والصدر متسع على بطن لها حفت به خصران ذات ثمان
وعليه أحسن سرة هي مجمع الـ خصرين قد غارت من الأعكان
حق من العاج استدار وحوله حبات مسك جل ذو الإتقان
وإذا انحدرت رأيت أمرًا هائلًا ما للصفات عليه من سلطان
لا الحيض يغشاه ولا بول ولا شيء من الآفات في النسوان
فخذان قد حفا به حرسًا له فجنابه في غرة وصيان

قاما بخدمته هو السلطان بينـ هما وحق طاعة السلطان
وهو المطاع أميره لا ينثني عنه ولا هو عنده بجبان
وجماعها فهو الشفاء لصبها فالصب منه ليس بالضجران
وإذا يجامعها تعود كما أتت بكرًا بغير دم ولا نقصان
فهو الشهي وعضوه لا ينثني جاء الحديث بذا بلا نكران
ولقد روينا أن شغلهم الذي قد جاء في يس دون بيان
شغل العروس بعرسه من بعد ما عبثت به الأشواق طول زمان
بالله لا تسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شان
واضرب لهم مثلا بصب غاب عن محبوبه في شاسع البلدان
والشوق يزعجه إليه وماله بلقائه سبب من الإمكان
وافى إليه بعد طول مغيبه عنه وصار الوصل ذا إمكان
أتلومه أن صار ذا شغل به لا والذي أعطى بلا حسبان
يا رب غفرًا قد طغت أقلامنا يا رب معذرة من الطغيان

فصل

أقدامها من فضة قد ركبت من فوقها ساقان ملتفان
الساق مثل العاج ملموم يرى مخ العظام وراءه بعيان
والريح مسك والجسوم نواعم واللون كالياقوت والمرجان
وكلامها يسبي العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيدان

وهي العروب بشكلها وبدلها وتحبب للزوج كل أوان
وهي التي عند الجماع تزيد في حركاتها للعين والأذنان
لطفًا وحسن تبعل وتغنج وتحبب تفسير ذي العرفان
تلك الحلاوة والملاحة أوجبا إطلاق هذا اللفظ وضع لسان
فملاحة التصوير قبل غناجها هي أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لصب وامق بلغت به اللذات كل مكان

فصل

أتراب سن واحد متماثل سن الشباب لأجمل الشبان
بكر فلم يأخذ بكارتها سوى الـ ـمحبوب من إنس ولا من جان
حصن عليه حارس من أعظم الـ ـحراس بأسًا شأنه ذو شان
فإذا أحس بداخل للحصن ولى هاربًا فتراه ذا إمعان
ويعود وهنًا حين رب الحصن يخر ج منه فهو كذا مدى الأزمان
وكذا رواه أبو هريرة إنها تنصاع بكرا للجماع الثاني
لكن دراجا أبا السمح الذي فيه يضعفه أولوا الإتقان
هذا وبعضهم يصح عنه في التـ ـفسير كالمولود من حبان
فحديثه دون الصحيح وإنه فوق الضعيف وليس ذا إتقان
يعطى المجامع قوة المائة التي اجـ ـتمعت لأقوى واحد الإنسان
لا أن قوته تضاعف هكذا إذ قد يكون أضعف الأركان

ويكون أقوى منه ذا نقص من الـ إيمان والأعمال والإحسان
ولقد روينا أنه يغشى بيو م واحد مائة من النسوان
ورجاله شرط الصحيح رووا لهم فيه وذا في معجم الطبراني
هذا دليل أن قدر نسائهم متفاوت بتفاوت الإيمان
وبه يزول توهم الإشكال عن تلك النصوص بمنة الرحمن
وبقوة المائة التي حصلت له أفضى إلى مائة بلا خوران
وأعفهم في هذه الدنيا هو الـ أقوى هناك لزهده في الفاني
فاجمع قواك لما هناك وغمض الـ ـعينين واصبر ساعة لزمان
ما هاهنا والله ما يسوى قلا مة ظفر واحدة ترى بجنان
ماهاهنا إلا النقار وسيء الـ أخلاق مع عيب ومع نقصان
هَمٌ وغمٌ دائمٌ لا ينتهي حتى الطلاق وبالفراق الثاني
والله قد جعل النساء عوانيًا شرعًا فأضحى البعل وهو العاني
لاتؤثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذلة وهوان

فصل

وإذا بدت في حلة من لبسها وتمايلت كتمايل النشوان
تهتز كالغصن الرطيب وحمله ورد وتفاح على رمان
وتبخترت في مشيها ويحق ذا ك لمثلها في جنة الحيوان
ووصائف من خلفها وأمامها وعلى شمائلها وعن أيمان

كالبدر ليلة تمه قد حف في غسق الدجى بكواكب الميزان
فلسانه وفؤاده والطرف في دهش وإعجاب وفي سبحان
فالقلب قبل زفافها في عرسه والعرس إثر العرس متصلان
حتى إذا ما واجهته تقابلا أرأيت إذ يتقابل القمران
فسل المتيم هل يحل الصبر عن ضم وتقبيل وعن فلتان
وسل المتيم أين خلف صبره في أي واد أم بأي مكان
وسل المتيم كيف حالته وقد ملئت له الأذنان والعينان
من منطق رقت حواشيه ووجـ ـه كم به للشمس من جريان
وسل المتيم كيف عيشته إذا وهما على فرشيهما خلوان
يتساقطان لآلئًا منثورة من بين منظوم كنظم جمان
وسل المتيم كيف مجلسه مع الـ محبوب في روح وفي ريحان
وتدور كاسات الرحيق عليهما بأكف أقمار من الولدان
يتنازعان الكأس هذا مرة والخود أخرى ثم يتكئان
فيضمها وتضمه أرأيت معشـ ـوقين بعد البعد يلتقيان
غاب الرقيب وغاب كل منكد وهما بثوب الوصل مشتملان
أتراهما ضجرين من ذا العيش لا وحياة ربك ما هما ضجران
ويزيد كل منهما حبًا لصا حبه جديدًا سائر الأزمان
ووصاله يكسوه حبًا بعده متسلسلًا لًا ينتهي بزمان

فالوصل محفوف بحب سابق وبلاحق وكلاهما صنوان
فرق لطيف بين ذاك وبين ذا يدريه ذو شغل بهذا الشان
ومزيدهم في كل وقت حاصل سبحان ذي الملكوت والسلطان
يا غافلًا عما خلقت له انتبه جد الرحيل فلست باليقظان
سار الرفاق وخلفوك مع الألى قنعوا بذا الحظ الخسيس الفاني
ورأيت أكثر من ترى متخلفًا فتبعتهم ورضيت بالحرمان
لكن أتيت بخطتي عجز وجهـ ـل بعد ذا وصحبت كل أمان
منتك نفسك باللحاق مع القعو د عن المسير وراحة الأبدان
ولسوف تعلم حين ينكشف الغطا ماذا صنعت وكنت ذا إمكان

اهـ كلامه.

وقال القحطاني في نونيته صـ٤٣ـ٤٤ـ:

اعرض عن النسوان جهدك وانتدب لعناق خيرات هناك حسان
في جنة طابت وطاب نعيمها من كل فاكهة بها زوجان
أنهارها تجري لهم من تحتهم محفوفة بالنخل والرمان
غرفاتها من لؤلؤ وزبرجد وقصورها من خالص العقيان
قصرت بها للمتقين كواعبًا شبهن بالياقوت والمرجان
بيض الوجوه شعورهن حوالك حمر الخدود عواتق الأجفان

فلج الثغور إذا ابتسمن ضواحكًا هيف الخصور نواعم الأبدان

خضر الثياب ثديهن نواهد صفر الحلي عواطر الأردان

طوبى لقوم هن أزواج لهم في دار عدن في محل أمان

يسقون من خمر لذيذ شربها بأنامل الخدام والولدان

لو تنظر الحوراء عند وليها وهما فويق الفرش متكئان

يتنازعان الكأس في أيديهما وهما بلذة شربها فرحان

ولربما تسقيه كأسًا ثانيًا وكلاهما يرضابها حلوان

يتحدثان على الأرائك خلوة وهما بثوب الوصل مشتملان

أكرم بجنات النعيم وأهلها إخوان صدق أيما إخوان

جيران رب العالمين وحزبه أكرم بهم في صفوة الجيران

محبة اللّه ورسوله صلى اللّه عليه وعلى آله وسلم ومحبة عباد اللّه الصالحين

وَقَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾[البقرة:١٦٥] ،وقال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وقال الله سبحانه وتعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة:٥٤]، وقال تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[ص:٣٢].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ:« مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلَاةٍ، وَلَا صَوْمٍ، وَلَا صَدَقَةٍ؛ وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ:« أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».رواه البخاري برقم (٦١٧١) ومسلم(٢٦٣٩)، وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:« إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا

جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ فَيُبْغِضُونَهُ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

رواه البخاري برقم (٧٤٥٨) ومسلم(٢٦٣٧) وهذا لفظه.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا؛ وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». رواه البخاري برقم (٦٥٠٢)، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ:﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ».

رواه البخاري برقم (٧٣٧٥) ومسلم(٨١٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْدًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ». رواه البخاري برقم (٢١) ومسلم(٤٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:« إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم برقم (٢٥٦٦).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله ؛ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ». رواه البخاري برقم (١٤٢٣) ومسلم(١٠٣١).

وَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ

وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ للهِ ! فَقَالَ: أَاللهِ ؟ فَقُلْتُ: أَاللهِ .فَقَالَ: أَاللهِ ؟ فَقُلْتُ: أَاللهِ . فَقَالَ: أَاللهِ ؟ فَقُلْتُ أَاللهِ . قَالَ فَأَخَذَ بِحُبْوَةِ رِدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:« قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ».

قال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله في الداء والدواءصـ٣٥٠-٣٥٥ـ:

اعلم أن أنفع المحبة على الإطلاق؛ وأوجبها، وأعلاها، وأجلها؛ محبة من جبلة القلوب على محبته، وفطرت الخليقة على تألهه، وبها قامت الأرض والسموات، وعليها فطر المخلوقات: وهي سر شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والذل، والخضوع، وتعبده.

والعبادة لا تصح إلا له وحده، والعبادة: هى كمال الحب، مع كمال الخضوع، والذل.

والشرك في هذه العبودية، من أظلم الظلم الذي لا يغفره الله، والله سبحانه يحب لذاته، من سائر الوجوه، وما سواه فإنما يحب تبعًا لمحبته.

وقد دل على وجوب محبته سبحانه :

١- جميع كتبه المنزلة.

٢- ، ودعوة جميع رسله صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

٣- وفطرته التي فطر عليها عباده.

٤- وما ركب فيها من العقول.

٥- وما أسبغ عليهم من النعم. فإن القلوب مفطورة مجبولة على محبة من أنعم عليها، وأحسن إليها، فكيف بمن كل الإحسان منه، وما بخلقه جميعهم من نعمه وحده لا شريك له، كما قال تعالى:﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ الآية [النحل: ٥٣].

٦- وما تعرف به إلى عباده؛ من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

٧- وما دلت عليه آثار مصنوعاته؛ من كماله، ونهاية جلاله. وعظمته، والمحبة له، داعيين الجلال، والجمال. والرب تعالى له الكمال المطلق من ذلك، فإنه جميل يحب الجمال، بل الجمال كله له، والإجمال كله منه فلا يستحق أن يحب لذاته من كل وجه سواه، قال الله تعالى:﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران: ٣١]، وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، والولاية أصلها الحب فلا موالات إلا بحب، كما أن العداوة أصلها البغض، والله ولي الذين آمنوا وهم أولياؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يواليهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المؤمن بحسب محبته له؛ ولهذا أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه أولياء بخلاف من والى أولياءه فإنه لم يتخذهم من دونه بل موالاته لهم من تمام موالاته، وقد أنكر على من سوى بينه وبين غيره في المحبة،

وأخبر أن من فعل ذلك فقد اتخذ ﴿ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله ﴾[البقرة: ١٦٥]، وأخبر عمن سوي بينه وبين الأنداد في المحبة؛ أنهم يقولون في النار لمعبوديهم:﴿تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]، وبهذا التوحيد في المحبة أرسل الله سبحانه جميع رسله صلى الله عليهم وسلم، وأنزل جميع كتبه، وأطبقت عليه دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم، ولأجله خلقت السموات والأرض، والجنة والنار، فجعل الجنة لأهله، والنار للمشركين به، وفيه، وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه:« **لا يؤمن عبد حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** »[(١)] فكيف بمحبة الرب جل جلاله، وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:« **لا حتى أكون أحب إليك من نفسك** »[(٢)]أي لا تؤمن حتى تصل محبتك لي إلى هذه الغاية، فإذا كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولى بنا من أنفسنا بالمحبة، ولوازمها، أفليس الرب جل جلاله وتقدست أسماؤه وتبارك

---

(١) رواه البخاري برقم(١٥)ومسلم برقم (٤٤) عن أنس رضي الله عنه، والبخاري برقم (١٤) رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم(٦٦٣٢) عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره أولى بمحبته، وعبادته من أنفسهم، وكل ما منه إلى عبده المؤمن يدعوه الى محبة ما يحب العبد، ويكرهه، فعطاؤه ومنعه، ومعافاته، وابتلائه، وقبضه، وبسطه، وعدله، وفضله، وأمانته، وإحياؤه، ولطفه، وبره، ورحمته، وإحسانه، وستره، وعفوه، وحلمه، وصبره، على عبده، وإجابته لدعائه، وكشف كربه، وإغاثة لهفته، وتفريج كربته من غير حاجة منه إليه.

بل مع غناه التام عنه من جميع الوجوه كل ذلك داع للقلوب إلى تألهه ومحبته، بل تمكينه عبده من معصيته وإعانته عليه، وستره حتى يقضي وطره منها،وكلائته وحراسته له، وهو يقضي وطره من معصيته، وهو يعينه، ويستعين عليها بنعمه؛ من أقوى الدواعي إلى محبته، فلو أن مخلوقًا فعل بمخلوق أدنى شيء من ذلك لم يملك قلبه عن محبته، فكيف لا يحب العبد بكل قلبه وجوارحه من يحسن إليه على الدوام بعدد الأنفاس، مع إساءته فخيره إليك نازل، وشرك إليه صاعد، يتحبب إليه بنعمه، وهو غني عنه، والعبد يتبغض اليه بالمعاصي، وهو فقير إليه، فلا إحسانه، وبره، وإنعامه، عليه يصده عن معصيته، ولا معصية العبد ولومه يقطع إحسان ربه عنه، فألأم اللؤم تخلف القلوب عن محبة من هذا شأنه، وتعلقها بمحبة سواه، وأيضًا فكل من تحبه من الخلق أو يحبك إنما يريدك لنفسه، وغرضه منك والرب سبحانه وتعالى يريد لك، كما في الأثر الآلهي عبدي كل يريدك

لنفسه، وأنا أريدك لك، فكيف لا يستحيي العبد أن يكون ربه له بهذه المنزلة وهو معرض عنه مشغول بحب غيره، وقد استغرق قلبه محبة ما سواه.

وأيضًا فكل من تعامله من الخلق إن لم يربح عليك لم يعاملك، ولا بدله من نوع من أنواع الربح، والرب تعالى إنما يعاملك عليه أعظم الربح وأعلاه، فالدرهم بعشرة أمثاله إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بواحدة. وهي أسرع شيء محوًا، وأيضًا فهو سبحانه خلقك لنفسه، وكل شيء خلق لك في الدنيا والآخرة، فمن أولى منه باستفراغ الوسع في محبته، وبذل الجهد في مرضاته.

وأيضًا فمطلبك بل مطالب الخلق كلهم جميعًا لديه، وهو أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، ويعطي عبده قبل أن يسأله فوق ما يؤمله، يشكر على القليل من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه، ويسأله من في السماوات والأرض، كل يوم هو في شأن، لا يشغله سمع عن سمع، ولا يغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بالحاح الملحين؛ بل يحب الملحين في الدعاء، ويحب أن يسئل ويغضب إذا لم يسئل، فيستحي من عبده حيث لا يستحي العبد منه، ويستره حيث لا يستر نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم نفسه، دعاه بنعمته، وإحسانه، وناداه إلى كرامته ورضوانه، فأبي، فأرسل رسله في طلبه، وبعث معهم إليه عهده، ثم نزل سبحانه بنفسه، وقال من يسألني فأعطيه،

من يستغفرني فأغفر له. أدعوك للوصل فتأبي، أبعث رسلي في الطلب، أنزل إليك بنفسي، ألقاك في النوم، وكيف لا تحب القلوب من لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، ولا يجيب الدعوات، ويقيل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، ويكشف الكربات، ويغيث اللهفات، وينيل الطلبات سواه، فهو أحق من ذكر، وأحق من شكر، وأحق من حمد، وأحق من عبد، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك، وأجود من سئل، وأوسع من أعطى، وأرحم من استرحم، وأكرم من قصد، وأعز من التجيء إليه، وأكفى من توكل عليه، أرحم بعبده من الوالدة بولدها، وأشد فرحا بتوبة عباده التائبين من الفاقد لراحلته، التي عليها طعامها وشرابه في الأرض المهلكة إذا يأس من الحياة فوجدها.

وهو الملك فلا شريك له، والفرد فلا ند له، كل شيء هالك إلا وجهه، لن يطاع إلا بإذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، وبتوفيقه ونعمته أطيع. ويعصى فيغفر، ويعفو، وحقه أضيع فهو أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، وأوفى وفي بالعهد، وأعدل قائم بالقسط، حال دون النفوس، وأخذ بالنواصي، وكتب الآثار، ونسخ الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، والعلانية والغيوب لديه مكشوف، وكل أحد إليه ملهوف، وعنت الوجوه لنور وجهه، وعجزة القلوب عن إدراك كنهه، ودلت الفطرة والأدلة كلها على امتناع مثله، وشبهه، أشرقت لنور وجهه الظلمات،

واستنارت له الأرض والسماوات، وصلحت عليه جميع المخلوقات، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يحفظ القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه بالنور، لو كشفه لا حرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه:

ما اعتاض باذل حبه لسواه من عوض ولو ملك الوجود بأسره اهـ.

شبهة وجوابها

يروى حديث «من عَشِقَ فعفَّ فمات فهو شَهِيدٌ».

وهذا الحديث موضوع، وقد أُنكر على سويد بن سعيد.

رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٥/ ١٥٦و٦/ ٥١و ١١/ ٢٩٨) وابن الجوزي في العلل المتناهية(٢/ ٧٧١).

و قال ابن القيم في الداء والدواءصـ ٣٧٢ـ:

وقد أنكره حفاظ الاسلام عليه، قال ابن عدي في كامله:

هذا الحديث أحد ما أُنكر على سويد.

وكذلك ذكره البيهقي، وابن طاهر في الزخيرة، والتذكرة، وأبو الفرج بن الجوزي، وعده من الموضوعات. وأنكره أبو عبد الله الحاكم على تساهله، وقال أنا اتعجب منهاهـ.

وقال ابن معين كما في المجروحين لابن حبان (١/ ٣٥٢):

لو كان لي فرس ورمح لكنت غزوت سويد بن سعيد.

وراجع الدء والدواء صـ٣٧٢ـ٣٧٥ـ ، وزاد المعاد (٤/ ٢٧٥-٢٧٨) لابن القيم رحمه الله، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للعلامة الألباني رحمه الله (١/ برقم٤٠٩).

صرعى عشاق الصور

١) عنترة بن شداد أبو المغلس:

عشق عنترةُ بنتَ عمه عبلة، وقصته معروفة مشهورة في غرامه وعشقه لابنة عمه هذه، ومن شعره في ذلك:

رمت الفؤاد مليحة عذراء بسهام لحظ مالهن دواء

مرت أوان العيد بين نواهد مثل الشموس لحاظهن ظباء

فاغتالني سقمي الذي في باطني أخفيته فأذاعه الإخفاء ...إلخ.

اهـ من ديوان عنترةصـ٢١ـ

ومن شعره في ديوانه صـ٢٧ـ:

وهلاكي في الحب أهون عندي من حياتي إذا جفاني الحبيب

وعنترة هو الفارس الطعان، الشجاع، المعروف الذي كان يهابه فحول الفرسان، انظر كيف يذل أمام عزة، ويفضل هاكه على جفوها له.

وفي ديوانه صـ١١٥ـ قال:

عذابك يا ابنة السادات سهل وجور أبيك إنصاف وعدل

فجوروا واطلبوا قتلي وظلمي وتعذيبي فإني لا أمل

وفي ديوانه صـ١٨٧-١٨٨-:

أتاني طيف[1] عبلة في المنام فقبلني ثلاثًا في اللثام

وودعني فأودعني لهيبًا أُسَتِّرُه ويشعل في عظامي

ولولا أنني أخلو بنفسي وأطفئ بالدموع جوى غرامي

لَـمُتُ أسىً وكم أشكو لأني أغار عليك يا بدر التمام

إلى أن قال:

رضيت بحبها طوعًا وكرهًا فهل أحظى بها قبل الحمام

إلى أن قال:

لعمر أبيك لا أسلو هواها لو طحنت محبتها عظامي

٢) مجنون ليلى، واسمه: قيس بن الملوح .

قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في سير أعلام النبلاء(٤/ ٥-٧):

وقد أنكر بعضهم ليلى والمجنون، وهذا دفع بالصدر، فما من لم يعلم حجة على من عنده علم، ولا المثبت كالنافي، لكن إذا كان المثبت لشئ شبه خرافة، والنافي ليس غرضه دفع الحق، فهنا النافي مقدم، وهنا تقع المكابرة وتسكب العبرة.

فقيل: إن المجنون علق ليلى علاقة الصبا وكانا يرعيان البهم.

ألا تسمع قوله، وما أفحل شعره:

---

[1] أي خيالها.

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

وعلقته هي أيضًا، ووقع بقلبها.

وهو القائل:

أظن هواها تاركي بمضلة من الأرض لا مال لدي ولا أهل

ولا أحد أقضي إليه وصيتي ولا وارث إلا المطية والرحل

محا حُبها حب الألى كن قبلها وحلت مكانًا لم يكن حل من قبل

فاشتد شغفه بها حتى وسوس وتخبل في عقله فقال:

إني لأجلس في النادي أحدثهم فأستفيق وقد غالتني الغول

يهوي بقلبي حديث النفس نحوكم حتى يقول جليسي أنت مخبول

قال أبو عبيدة: **تزايد به الأمر حتى فقد عقله**، فكان لا يؤويه رحل ولا يعلوه ثوب إلا مزقه.

ويقال: إن قوم ليلى شكوا المجنون إلى السلطان، فأهدر دمه، وترحل قومها بها.

فجاء وبقي يتمرغ في المحلة، ويقول:

أيا حرجات الحي حيث تحملوا بذي سلم لا جادكن ربيع

وخيماتك اللاتي بمنعرج اللوى بلين بلى لم تبلهن ربوع

وقيل: إن قومه حجوابه ليزور النبي صلى الله عليه وسلم[1] ويدعو، حتى إذا كان بمنى سمع نداء: يا ليلى، فغشي عليه، وبكى أبوه فأفاق يقول:

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أطراب الفؤاد ولم يدر

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائرًا كان في صدري

وجزعت هي لفراقه وضنيت.

وقيل: إن أباه قيده، فبقي يأكل لحم ذراعيه، ويضرب بنفسه فأطلقه، فهام في الفلاة، فوجد ميتًا، فاحتملوه إلى الحي وغسلوه ودفنوه.

وكثر بكاء النساء والشباب عليه.

وقيل: إنه كان يأكل من بقول الأرض، وألفته الوحش، وكان يكون بنجد فساح حتى حدود الشام .اهـ

ولا أدل على جنونه بسبب عشق ليلى من اسمه الذي لُقب به «مجنون ليلى» حتى نُسب إليها، نسأل الله السلامة والعافية.

٣) كُثَيِّر عزة، وهو أبو صخر كُثَيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي.

عشق عزة بنت جميل بن إياس بلغ به عشقه وجنونه بعزة أن نُسب إليها . قال ابن خَلِّكَان في وفيات الأعيان(٤/ ١٠٩):

وكان لكثير غلام عطار بالمدينة، وربما باع نساء العرب بالنسيئة، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئًا من العطر، فمطلته أيامًا، وحضرت إلى حانوته في

---

[1] السفر لزيارة القبر بدعة كما هو معلوم، ولكن هؤلاء لعلهم جهلة.

نسوة فطالبها: فقالت له: حبا وكرامة، ما أقرب الوفاء وأسرعه، فأنشد متمثلًا:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

فقالت النسوة: أتدري من غريمتك قال: لا والله، فقلن: هي والله عزة فقال: أشهدكن الله أنها في حل مما لي قبلها، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك، فقال كثير: وأنا أشهد الله أنك حر لوجهه، ووهبه جميع ما في حانوت العطر، فكان ذلك من عجائب الاتفاق. اهـ

وقال ابن العماد في شذرات الذهب (١/ ١٣٢):

وكان من غلاة الشيعة الموقنين بالرجعة .

وصرعى العشق كثير؛ وقد ألف الإمام السراج كتابًا (مكونًا من جزأين) بعنوان « مصارع العشاق»، وكذا الإمام ابن الجوزي له كتاب بعنوان « ذم الهوى» ذكرا فيهما عددًا كبيرًا مما ثبت ومما لم يثبت، فلا أطيل عليك بذكر حكايات المفتونين من العشاق؛ وأحيلك على مليئين؛ على أن ما ذكرت من الأدلة فيه كفاية : ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[ق:٣٧].

مصارع عشاق الدنيا

قال الله جل في علاه:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ* قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[آل عمران:١٤-١٥]، وقال تعالى:﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة:٢١٢].

وقال المولى جل وعز:﴿ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان: ٣٣]، وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[فاطر:٥].

ولقد ذمَّ الله سبحانه وتعالى الدنيا بأبشع ذم في كتابه الكريم، وعلى لسان رسله عليهم السلام، فقال جَلَّ في علاه: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[يونس:٢٤]، وقال الله تبارك وتعالى:﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:٦٤]، وقال الله عزَّ وجَلَّ:﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً﴾[الكهف:٤٥] ، وقال

الله تعالى:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود:١٥-١٦]،وقال الله تبارك وتعالى:﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[ابراهيم:٣]، وقال تعالى:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[النحل:١٠٧].

فمن اغتر بالدنيا وصرعته كانت نصيبه، قال الله جل في علاه:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾[الشورى:٢٠]،ولك عبرة بقارون، قال الله جل في علاه:﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ *فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ * تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[القصص:٧٦-٨٣].

عَنْ عَمْرِو بْن عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ -وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا- أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنْ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمْ الْفَجْرَ، انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ، وَقَالَ:« **أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟**» قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله.

قَالَ:« **فَأَبْشِرُوا، وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ؛ فَوَالله لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**».

رواه البخاري برقم(٣١٥٨) ومسلم برقم(٢٩٦١).

وقال تعالى:﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾[المؤمنون:٥٥-٥٦]، وقال تعالى:﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ**﴾[البقرة:٨٦]، وقال تعالى:﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ**﴾[البقرة: ٢٠٠]، وقال سبحانه:﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ الله وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾[الأنعام:٧٠]، وقال تعالى:﴿ **الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ**

يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[الأعراف:٥١].

وقد حقر الله الدنيا وأخبر أنه يعطي من شاء منها، ويمنع من شاء لحكمة؛ لا لأهمية الدنيا، قال تعالى:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ * وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[الزخرف:٣٢-٤٤].

وأمر تعالى بالصبر مع عباد الله؛ على طاعة الله جل وعلا، فقال:﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾[الكهف:٢٨].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:«الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ».رواه مسلم برقم(٢٩٥٦)، وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:«

وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ ».رواه مسلم برقم(٢٨٥٨).

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:«نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ.

ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لله ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ».

وَقَالَ:« مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ: جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ. وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا: فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ».

رواه أحمد (٥/ ١٨٣)، وهو صحيح.

علاج العشق

العشق مرض من الأمراض ؛ وهو مرض فتاك، ومدمر ؛ ولذلك لابد من العلاج لهذا المرض، لا سيما وَ قَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ :« لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ».رواه مسلم برقم (٢٢٠٤)، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ورواه البخاري برقم (٥٦٧٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ:« مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً».

ورواه أحمد (١/ ٣٧٧) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ بِزِيَادَةِ:« عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ».وهو حسن.

فالحديث صحيح وقد جاء عن جماعة من الصحابة، انظر مجمع الزوائد للهيثمي رحمه الله (٥/ ٨٤-٨٥).

قال الإمام ابن القيم عليه رحمة الله في الزاد (٤/ ٢٧٢- ٢٧٥):

وَالْمَقْصُودُ أَنّ الْعِشْقَ لَمّا كَانَ مَرَضًا مِنْ الْأَمْرَاضِ، كَانَ قَابِلًا لِلْعِلَاجِ، وَلَهُ أَنْوَاعٌ مِنْ الْعِلَاجِ:

١- فَإِنْ كَانَ مِمّا لِلْعَاشِقِ سَبِيلٌ إلَى وَصْلِ مَحْبُوبِهِ شَرْعًا وَقَدْرًا فَهُوَ عِلَاجُهُ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصّحِيحَيْنِ [1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ

---

[1] البخاري برقم (٥٠٦٥) ومسلم برقم(١٤٠٠).

رَسُولُ اللهِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ:« يَا مَعْشَرَ الشّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصّوْمِ فَإِنّهُ لَهُ وِجَاءٌ».

فَدَلّ الْمُحِبّ عَلَى عِلَاجَيْنِ أَصْلِيّ وَبَدَلِيّ . وَأَمَرَهُ بِالْأَصْلِيّ وَهُوَ الْعِلَاجُ الّذِي وُضِعَ لِهَذَا الدّاءِ فَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْهُ إلَى غَيْرِهِ مَا وَجَدَ إلَيْهِ سَبِيلًا . وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ[1] عَن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ أَنّهُ قَالَ:« لَمْ نَرَ لِلْمُتَحَابّيْنِ مِثْلَ النّكَاحِ ».

وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الّذِي أَشَارَ إلَيْهِ سُبْحَانَهُ عَقِيبَ إحْلَالِ النّسَاءِ حَرَائِرِهِنّ وَإِمَائِهِنّ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِقَوْلِهِ ﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] . فَذِكْرُ تَخْفِيفِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَإِخْبَارِهِ عَنْ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ يَدُلّ عَلَى ضَعْفِهِ عَنْ احْتِمَالِ هَذِهِ الشّهْوَةِ وَأَنّهُ - سُبْحَانَهُ - خَفّفَ عَنْهُ أَمْرَهَا بِمَا أَبَاحَهُ لَهُ مِنْ أَطَايِبِ النّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ وَأَبَاحَ لَهُ مَا شَاءَ مِمّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ ثُمّ أَبَاحَ لَهُ أَنْ يَتَزَوّجَ بِالْإِمَاءِ إنْ احْتَاجَ .

٢- وَمِنْ عِلَاجِ العشقِ إشْعَارُ النّفْسِ الْيَأْسَ مِنْهُ إنْ كَانَ الْوِصَالُ مُتَعَذّرًا قَدْرًا وَشَرْعًا، وَإِنْ كَانَ لَا سَبِيلَ لِلْعَاشِقِ إلَى وِصَالِ مَعْشُوقِهِ قَدْرًا أَوْ شَرْعًا، أَوْ هُوَ مُمْتَنِعٌ عَلَيْهِ مِنْ الْجِهَتَيْنِ وَهُوَ الدّاءُ الْعُضَالُ فَمِنْ عِلَاجِهِ

(١) صححه الألباني في الصحيحة برقم (٦٢٤).

إشْعَارُ نَفْسِهِ الْيَأْسَ مِنْهُ، فَإِنّ النّفْسَ مَتَى يَئِسَتْ مِـنَ الشّيْـءِ اسْـتَرَاحَتْ مِنْهُ وَلَمْ تَلْتَفِتْ إلَيْهِ.

٣- فَإِنْ لَمْ يَزَلْ مَرَضُ الْعِشْقِ مَعَ الْيَأْسِ فَقَدْ انْحَرَفَ الطّبْعُ انْحِرَافًا شَـدِيدًا، فَيَنْتَقِلُ إلَى عِلَاجٍ آخَرَ وَهُوَ عِلَاجُ عَقْلِهِ بِأَنْ يُعْلَمَ بِأَنّ تَعَلّقَ الْقَلْبِ بِـمَا لَا مَطْمَعَ فِي حُصُولِهِ نَوْعٌ مِنْ الْجُنُونِ، وَصَاحِبُهُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَعْشَقُ الشّمْسَ، وَرُوحُهُ مُتَعَلّقَةٌ بِالصّعُودِ إلَيْهَا وَالدّوَرَانِ مَعَهَا فِي فَلَكِهَا، وَهَـذَا مَعْـدُودٌ عِنْدَ جَمِيعِ الْعُقَلَاءِ فِي زُمْرَةِ الْمَجَانِينِ .

٤- وَإِنْ كَانَ الْوِصَالُ مُتَعَذّرًا شَرْعًا لَا قَدْرًا، فَعِلَاجُهُ بِأَنْ يُنْزِلَهُ مَنْزِلَةَ الْمُتَعَذّرِ قَدْرًا، إذْ مَا لَمْ يَأْذَنْ فِيهِ اللهُ، فَعِلَاجُ الْعَبْدِ وَنَجَاتُهُ مَوْقُـوفٌ عَـلَى اجْتِنَابِـهِ، فَلْيُشْعِرْ نَفْسَهُ أَنّهُ مَعْدُومٌ، مُمْتَنِعٌ، لَا سَـبِيلَ لَـهُ إلَيْـهِ، وَأَنّـهُ بِمَنْزِلَـةِ سَـائِرِ الْمُحَالَاتِ فَإِنْ لَمْ تُجِبْهُ النّفْسُ الْأَمّارَةُ فَلْيَتْرُكْهُ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

إمّا خَشْيَةٍ وَإِمّا فَوَاتِ مَحْبُوبٍ هُوَ أَحَبّ إلَيْهِ، وَأَنْفَعُ لَهُ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْهُ، وَأَدْوَمُ لَذّةً، وَسُرُورًا، فَإِنّ الْعَاقِلَ مَتَى وَازَنَ بَيْنَ نَيْـلِ مَحْبُـوبٍ سَرِيـعِ الـزّوَالِ، بِفَـوَاتِ مَحْبُوبٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَأَدْوَمَ، وَأَنْفَعَ، وَأَلَذّ، أَوْ بِالْعَكْسِ ظَهَرَ لَهُ التّفَاوُتُ.

فَلَا تَبِعْ لَذّةَ الْأَبَدِ الّتِي لَا خَطَرَ لَهَا، بِلَذّةِ سَاعَةٍ تَنْقَلِبُ آلَامًا، وَحَقِيقَتُهَا:

أَنّهَا أَحْلَامُ نَائِمٍ، أَوْ خَيَالٌ لَا ثَبَاتَ لَهُ، فَتَـذْهَبُ اللّـذّةُ، وَتَبْقَـى التّبِعَـةُ، وَتَـزُولُ الشّهْوَةُ، وَتَبْقَى الشّقْوَةُ .

الثّانِي : حُصُولُ مَكْرُوهٍ أَشَقّ عَلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْمَحْبُوبِ، بَلْ يَجْتَمِعُ لَهُ الْأَمْرَانِ أَعْنِي : فَوَاتَ مَا هُوَ أَحَبّ إلَيْهِ مِنْ هَذَا الْمَحْبُوبِ، وَحُصُولَ مَا هُوَ أَكْرَهُ إلَيْهِ مِنْ فَوَاتِ هَذَا الْمَحْبُوبِ .

فَإِذَا تَيَقّنَ- أَنّ فِي إعْطَاءِ النّفْسِ حَظّهَا مِنْ هَذَا الْمَحْبُوبِ- : هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُهُ، وَرَأَى أَنّ صَبْرَهُ عَلَى قُوّتِهِ أَسْهَلُ مِنْ صَبْرِهِ عَلَيْهِمَا بِكَثِيرٍ، فَعَقْلُهُ، وَدِينُهُ، وَمُرُوءَتُهُ، وَإِنْسَانِيّتُهُ تَأْمُرُهُ بِاحْتِمَالِ الضّرَرِ، وَهَوَاهُ وَظُلْمُهُ وَطَيْشُهُ وَخِفّتُهُ يَأْمُرُهُ بِإِيثَارِ هَذَا الْمَحْبُوبِ الْعَاجِلِ، بِمَا فِيهِ جَالِبًا عَلَيْهِ مَا جَلَبَ وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ .

٥- فَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ نَفْسُهُ هَذَا الدّوَاءَ، وَلَمْ تُطَاوِعْهُ لِهَذِهِ الْمُعَالَجَةِ: فَلْيَنْظُرْ مَا تَجْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ الشّهْوَةُ مِنْ مَفَاسِدِ عَاجِلَتِهِ، وَمَا تَمْنَعُهُ مِنْ مَصَالِحِهَا، فَإِنّهَا أَجْلَبُ شَيْءٍ لِمَفَاسِدِ الدّنْيَا، وَأَعْظَمُ شَيْءٍ تَعْطِيلًا لِمَصَالِحِهَا، فَإِنّهَا تَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رُشْدِهِ الّذِي هُوَ مِلَاكُ أَمْرِهِ وَقِوَامُ مَصَالِحِهِ .

٦- فَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ نَفْسُهُ هَذَا الدّوَاءَ: فَلْيَتَذَكّرْ قَبَائِحَ الْمَحْبُوبِ، وَمَا يَدْعُوهُ إلَى النّفْرَةِ عَنْهُ، فَإِنّهُ إنْ طَلَبَهَا، وَتَأَمّلَهَا؛ وَجَدَهَا أَضْعَافَ مَحَاسِنِهِ الّتِي تَدْعُو إلَى حُبّهِ، وَلْيَسْأَلْ جِيرَانَهُ عَمّا خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْهَا، فَإِنّهَا الْمَحَاسِنُ كَمَا هِيَ دَاعِيَةُ الْحُبّ، وَالْإِرَادَةِ فَالْمَسَاوِئُ دَاعِيَةُ الْبُغْضِ، وَالنّفْرَةِ، فَلْيُوَازِنْ بَيْنَ الدّاعِيَيْنِ، وَلْيُحِبّ أَسْبَقَهُمَا، وَأَقْرَبَهُمَا مِنْهَا بَابًا، وَلَا يَكُنْ مِمّنْ غَرّهُ لَوْنُ

جَمَالٍ عَلَى جِسْمٍ، أَبْرَصَ، مَجْذُومٍ، وَلْيُجَاوِزْ بَصَرُهُ حُسْنَ الصّورَةِ إِلَى قُبْحِ الْفِعْلِ، وَلْيَعْبُرْ مِنْ حُسْنِ الْمَنْظَرِ، وَالْجِسْمِ إِلَى قُبْحِ الْمَخْبَرِ وَالْقَلْبِ .

٧- فَإِنْ عَجَزَتْ عَنْهُ هَذِهِ الْأَدْوِيَةُ كُلّهَا لَمْ يَبْقَ لَهُ إِلّا صِدْقُ اللّجَأِ إِلَى مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرّ إِذَا دَعَاهُ، وَلْيَطْرَحْ نَفْسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَابِهِ، مُسْتَغِيثًا بِهِ، مُتَضَرّعًا، مُتَذَلّلًا، مُسْتَكِينًا، فَمَتَى وُفّقَ لِذَلِكَ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التّوْفِيقِ فَلِيَعِفّ، وَلْيَكْتُمْ، وَلَا يُشَبّبْ بِذِكْرِ الْمَحْبُوبِ، وَلَا يَفْضَحْهُ بَيْنَ النّاسِ، وَيُعَرّضْهُ لِلْأَذَى، فَإِنّهُ يَكُونُ ظَالِمًا مُعْتَدِيًا .اهـ كلام ابن القيم رحمه الله.

٨- تَقْوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مَعَ مُرَاقَبَةِ اللهِ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:﴿وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الزمر:٦١] ، وقال الله سبحانه:﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[مريم:٧٢]، و قَالَ اللهُ وَتَعَالَى:﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل:١٢٨].

و قَالَ اللهُ جَلَّ فِي عُلاهُ:﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[الرعد:٣٥]، و قَالَ تَعَالَى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[لقمان:٣٣]، و قَالَ

اللهُ تَعَالَى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[الحشر:١٨].

والتَّقْوى سَبيلٌ عظيمٌ، ومخرجٌ، واسعٌ من جميع المصائب، قَالَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[الطلاق:٢-٣].

٩- العِفَّةُ والتَّعَفُّفُ: وهذا عقدتُ له فصلاً مستقلاً في الكتاب لأهميته.

١٠- الصَّبْرُ عن مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى، وهذا عقدتُ له فصلاً مستقلاً في الكتاب لأهميته.

١١- تَذَكُّر العَوَاقِبِ الوَخِيمةِ المترتبةِ على العشق في الدنيا ؛ منها :

أ- أنه قد يُجَن، ويكون قد أَودَى بنفسه إلى مَهْلَكَةٍ عَظيمةٍ.

ب- أنه قد يَقْتُلُ شخصاً ما بسببِ زَوَاجِه بِمَعْشُوقَتِهِ، أو يقتلهما معاً، وهذا جُرْمٌ عظيمٌ، ووبالٌ على صاحبه في الدنيا والآخرة.

ج- أنه قد لا يَجِدُ لذةَ العيشِ مع غير المعشوق؛ إن لم يعالج نفسه قبل فَوَاتِ الأوان.

١٢- التَطَلُّعُ لمعرفةِ أوصافِ الحورِ العين[1]، وما أعده الله للمتقين في الجنة.

١٣- تَذَكُّر أن هذا الفعل محرم، والعواقب الوخيمة المترتبة على ارتكاب المحرم من الإثم والوزر ، وتوابع ذلك.

١٤- عَزيمَةُ حُرٍّ يَغارُ على نفسه.

١٥- الحفاظ على منزلتهِ عند الله تعالى، و في قلوب عباده الصالحين بترك ما يشينه.

١٦- محاولة التَغَلُّبِ على عدوهِ، وقَهرِهِ؛ وعدوه هو الشيطانُ والنفس الأمارة بالسوء.

١٧- أن يَبْعِد نفسه أن يكون أهون من الحيوان، فإن منزلة العاشق، أدنى من منزلة الحيوان بطبيعة الحال.

١٨- أن يَعْلَمَ المسلمُ أن جِهَادِ النفس هو أعظم جهاد، ولا سبيلَ لجهاد الكافرين، إلا بعد جهاد النفس الأمارة بالسوء؛ وجهادها بطاعة الله وترك معصيته.

هذا محصل العلاج لهذا المرض الفتاك، وقد ذكر العلامة ابن القيم في روضة المحبين صـ٣٨٠ـ٣٩١ـ خمسين حلًا للتخلص من الهوى، وبالله التوفيق.

---

[1] وقد ذكرت فصلاً مختصراً في الكتاب في هذا .

الفهرس

مقدمة الشيخ يحيى الحجوري حفظه الله ٤
مقدمة..... ٥
تعريف العشق..... ١١
أسماء العشق..... ١٣
وجوب غض البصر عن الحرام وتحريم النظر إليه..... ١٥
العفة..... ٢٦
وجوب الصبر عن الحرام ٣٣
الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام ٣٤
تحريم الزنا ٣٦
أضرار جريمة الزنا !..... ٣٩
تحريم العشق ٤٥
ذم اتباع الهوى..... ٥٤
العاشق عبدٌ لله، وليس عبدًا لشهواته..... ٥٥
أقسام العشق..... ٥٨
أقسام الناس في العشق..... ٦١
وصف الحور العين..... ٦٤
محبة الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومحبة عباد الله الصالحين..... ٧٥

شبهة وجوابها ٨٥
صرعى عشاق الصور ٨٦
مصارع عشاق الدنيا..... ٩١
علاج العشق ٩٦
الفهرس.....١٠٣